دكتور

مصطفى الصاوي الجويني

أستاذ الدراسات الإسلامية والبلاغة المتفرغ
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

التفسير الأدبي للنص القرآني



دمنهور - أمام كلية الآداب

التفسير
الأدبي للنص القرآني

دكتور

مصطفى الصاوي الجويني

أستاذ الدراسات الإسلامية والبلاغة المتفرغ
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

التفسير الأدبي للنص القرآني



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــــــــــة

تعـــددت زوايا النظر الى النص القرآنى ، فاللغوى همه دلالة اللفظ القرآنى والمنطق النحوى ، والقراءة التى يتغير المعنى بها نحوا وصرفا ثم معنى، وكان من اهتمامات اللغويين كذلك صور التعبير القرآنى التى تجرى على سنن اللغةالعربيـــة ولعل من البدايات المبكرة فى هذا السبيل كتب معانى القرآن للفـــراء وابى عبيدة والزجاج ، وينصرف فريق آخر مـــن العـــلماء بانتقاء ما روى من تفســـــير عرف بالتفسير النقلى أو التفســير المـــأثور ،ولديـــنا روايات نقليه فى التفسير جمعها ابن جرير الطـــبرى فى تفســـيره ،والطـــبرى مـــن رجـــال أوائـــل القرن الرابع الهجـــرى.ويتابع السيوطى المصرى من رجال أوائل القرن العاشر نهج الطـــبرى وذلـــك فى تفســـيره المعـــروف " بـــالدر المنثور فى التفسير المأثور"،أما علماء الفرق الإسلاميةَ من معتزلة وأشعريةَ وشيعةَ وخوارج ومتصـــوفهَ؛فقد أولـــوا الـــنص القرآنى- مستخدمين كل ما أتيح لهم من معـــرفة عـــلمية- ليؤيـــدوا أفكارهم مثل تفاسير :الزمخشرى ،والبغوى والطبرسى،والقشيرى ،وكثير غيرهم .

هؤلاء جميعاًكان هدفهم هو المعنى القرآنى ،أى فهم النص القرآنى -وإن كانوا بنسب متفاوته -لم يهملوا الجانب الأدبى ،البلاغى ،الجمالى،ويبرز من بينهم الزمخشرى ومن بعده الفخر الرازى.

واليوم تتجهه جهود التفسير الى جعل الجانب الأدبى هو الهدف الأول من الـــنظر فى الـــنص القـــرآنى ، يتشـــربه الوجدان ، وتهتـــز له الروح ، ويحرك إرادة البشر نحو الطاعة وفعل الخير وأدواته كل ما أباحه الله من

معارف علمية وإنسانية وفنية وما اصطلح على تسميته بالتفسير الموضوعي هو أحد أركان هذا التفسير الأدبي ، وسخط البعض بين التفسير الموضوعي ، والذي يعني تفسير موضوع ما : مثل الطلاق في الشريعة ، والصدق في الأخلاق ، والوحدانية في التوحيد ... الخ .
يخلطوا بين كل هذا وبين المصطلح النقدى (الوحدة العضوية) .
نعم إن القرآن يتميز بهذه الوحدة العضوية وهى قضية جمالية ، أما التفسير الموضوعي فهو منهج وطريقة فى تفسير النص القرآنى .
ولقد رأيت أن يدور هذا المنهج حول ثلاثة محاور ، أولها محور التأصيل ونتابع فيه جهود السلف فى سبيل إرساء قواعدها المنهج ، والمحور الثانى تخطيطات فى التطبيق . أردت بها السير على مهلٍ فى تنفيذ هذا المنهج عملياً .أما المحور الثالث فجعلته نماذج التطبيق العملى للمنهج عند المعاصرين من المفسرين المصريين بادئاً بمؤصلى المنهج وهما الإمام محمد عبده ، والشيخ أمين الخولى ، وأتبعت هذا بمنهج البيئة الجامعية التطبيقى ، أما ثالث البيئات فخصصته لبيئة الأزهر وكانت ذات حركة ناشطة فى هذا المجال باعتبارها ذات صلاحيات علمية عالية ،
إن كل يوم يكشف عن جديد فى معجزة هذا القرآن العظيم ،و بمسئولية الأب والأستاذ أدعو شبابنا الى ورود هذا التميز الصافى يغذى العقل ، ويرقق الوجدان ، ويهذب السلوك ،ويرشد الى السعادة فى الأولى وفى الأخرة ، وتلك كلها أهداف التفسير الأدبى .

وبالله التوفيقى .

دكتور / مصطفى الصافى الجوينى

الأسكندرية فى ٧ رمضان ١٤١٨ ه .

القسم الأول

التـــأصيـــل

١- المهـــاد التاريخـــــــى

مقدمة :

(أول الجديــد قتل القديم بحثاً) مبدأ فكرى دعا إليه شيخ الأمناء وتابعـــه فيـــه تلامذته نظراً وتطبيقاً ، وأوقن آن أمين الخولى حين أصل لمـــنهج التفســـير الأدبى للقرآن قد أستقر ما فى التراث من عناصر هذا المـــنهج ، ومـــن ثـــم يـــكون مـــن الضرورى هذا المهـــاد التاريخى للتفســـيرالأدبى و الـــذى أراه بدأ باكراً ومصاحباً لنزول القرآن والحديث النـــبوى وكله ببلاغة بيانه وتفسير الأدبى للقرآن الكريم ، وعنه يؤثر (إن من البيان لسحراً) وتتناثر فى مصادر السيرة وطبقات الصحابة عبارات بليغة هنا وهناك ونجدها مبثوثة فى تفسير ابن جرير الطبرى . لكن يبرز مـــا يـــروى عن ابن عباس أب التفسير ولديه نجد لبنات التفسير الأدبى ومكوناتـــه معـــارف دينياً، وقصصية ، ولغوية ، وأشعار الى ألوان من معـــارف عصـــره ،وفيـــه يقول سامع لتفسيره وددت لو قبلت رأسه من حـــلاوة كلامـــه فى التفسير ،وفى بدايات القرن الثالث الهجرى يقوم أبو عـــبيده معمـــربن المثنى فى كتابه (مجاز القرآن) بمحاوله جزئيه أحدثت دوياً فى عصره وهى محاولة إثبات عـــربية القرآن فى لفظه وأســـاليبه ومقابلة ذلك وتوثيقه بالشعر العربى مما عـــد تفسيراً بالرأى وتحررا من التفسير النقلى والاحتكام فحسب إلى شعر العرب فى الأســـلوب والدلالة ، وفى رأيى أن هـــذه أول خطـــوة متسقه من خطوات التفسير الأدبى للقرآن فى رحلته مع الزمان.

والخطوة الأفسح مـــدى جاءت فى منتصف القرن الثالث الهجرى وعلى يدى الجاحظ.

اللـــــــــون الأدبى:

لعل الخطوه الأولى التى نلقاها هناهى دعوة الجاحظ إلى الـنظر إلى الأشياء بقلب مفتوح وعقل واع ، أى يكون الإنسان ذا شفافيه فى الحـس وحيويـه فى التفكير ليقرأ فى صفحة هذا الوجود (فينبغى أن تكـون إذا مـررت بذكر الآية والأعجوبة فى الفراشة والجرجسة ، الأ تحـتقر تـلك الأية ،وتصغر تلك الأعجوبة ،لصغر قدرها عندك، ولقلة معرفتها إلى معرفتك، ولصغر أجسامها عند جسمك ، ولكن كن عند الذى يظهر لك من تلك الحكم،ومن ذلك التـدبير كما قال الله عز وجل :

وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ

ثم قال الله تعالى :

« فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا »

ثم قال الله تعالى :

۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ

وقد قال الله عز وجل :

وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾

فـأحذر أن تكـون مـنهم ،وممن ينظر إلى حكمة الله وهو لا يبصـرها ومعـنى يبصـرها بفتح العين واستماع الآذان ، ولكن بالتوفيق من القلب

والتثـبيت مـن العقل وبتحفيظه وتمكينه من اليقين والحجة الظاهرة ولا يراها من يـعرض عنها وقد قال الله عز وجل :-

« وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ »

ولو كانوا صماً بكمـا ، وكانوا هـم يعقلون ، لما عيرهم بذلك .

دعوة الجاحظ إلى التأمل فى الكون

ويدعـو فى موطن آخر إلى أن تتأمل مسـتلهما دون أن تخـدع بمظاهـر الأشياء من صغر أو ضآلة ، ولكن بالـنفوذ الى حقـائق الأمـور واستبطانها للتزود من الطبيعة بزاد عقلى وروحى ، فهى منبع معارفنا وهى مجال عجبنا واعجابنا حيث نجيل فيها الفكر ونوقظ الحس (.. هل فكرت فى النحلة والعنكبوت والنملة ، وأنت ترى الله تقدس وعز كيف نوه بذكرها ، ورفع من قدرها ، وأضاف اليها السّـور العظام والآيات الجسام وكيف جعل الأخبار عنها قرآنا وفرقانا حيث يقول :

« وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ »

" فقـف على صغرالنحلة وضعف أيدها ، ثم ارم بعقلك الى قول الله :

« ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا »

فإنك أكبر من الطود وأوسع من الفضاء . ثم انظر الى قوله :

«حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ»

" فمـــا ترى فى مقدار النملة فى عقل الغبى ، وغير الذكى ؟ فانظر كيف أدلف الوادي إليها ، وخبر عن حذرها ونصحها لأصحابها وخوفها ممـــن قـــد مكن ، فإنك تجدها عظيمة القدر رفيعة الذكر ، قد عظمها في عقلك بعد أن صغرها في عينيك .

دعوة الجاحظ إلى أعمال الفكر والوجدان في الكون :

(ويـــنوه الجاحظ بذكر القرآن أمثال هذه الكائنات من بهيمة وهمج وحشرات وجعلها واحدة من موضوعاته مثيرا بذلك قوى الفكر والوجدان في الإنسان أن يعملا متناغمين فى هذا الكون

(اعـــلم رحمـــك الله تعالى أن الله جل وعز قد أضاف ست صور من كـــتابه الى أشـــكال مـــن أجناس الحيوان الثلاثة ، منها مما يسمونه بإسم الـــبهيمة ، وهى ســـورة البقرة ، وسورة الأنعام ، وسورة الفيل ، وثلاثة منها مما يعدون اثنتين منها من الهمج ، وواحدة من الحشرات .

دلالة المخلوقات على خالقها صغرت أو كبرت :

هـــذا اللجوء الى تحسس الكون ليس من سبيل الرومانتيكية حين يستسلم ذووها الى الطبيعة سارحين بوجدانهم غائـــبين بعقولهـــم ، ولكنه انفتاح نوافذ العقل والوجدان جميعا فى تكامل عـــلى هـــذا الوجود يطلان عليه، يرقبان مظاهرة ويعيان مشاهدة ، وفى مـــتعة تـــلذ العقـــل وتشبع الوجدان وتحرك البيان ، لإن كل قارىء فى صفحة الوجود يترجم عن فهمه ، ويرجع الينا بما واتاه فكره وهداه حسه

مـــن هذا الكون . ويصيب من يصيب ، ويخطىء من يخطىء ، وتختلف التفســيرات ، وتتــباين الــتراجم وحقائق الوجود هى هى لاتناقض فى جوهــرها ، وإنمـــا تخالف المفسرون وتغايرا المترجمون بمقدار طاقات فكــرهم وحسهم ومسارب عملهم (ثم اعلم أن الجبل ليس بأدل على الله مـــن الحصاة . ولا الفلك المشتمل على عالمنا هذا بأدل على الله من بدن الإنسان) .

الإستخدام الأدبى للقرآن :

(ومـــع هـــذا تجد عنصرا ثانيا ، هو الإستخدام الأدبى لما يدور حـولـه الـنص مـن معـنى أو مغزى ، فتراه يطلق فكره ، ومعه بيانه المسترســـل مســتعينا بــنص قرآنى أو رواية حديثية ، ينضويان تحت موضـــوعه ، ويكونـــان ركنا هاما فى بنيان فكرته يحدث مثلا عن منافع الخط والحساب) .

تنبه الجاحظ للتفسير الأدبى وفرق ما بينه وبين الإقتباس :

(وفى مثل تلك المواطن ، ستجد حشدا من نصوص القرآن والحديــث والشــعر ، وأقـــاويل السلف من الصحابة والتابعين ، وقطب رحاها الموضوع الذى يدير حوله الجاحظ ، والذى ينتظم فى الوقت عينه معانى تلك النصوص مجتمعة ، مع البسط الأدبى لما فى تلك المعانى من نكت . ولم نسم هذا الإستخدام الأدبى لنص القرآن اقتباسا ، لأن الإقتباس مرتــبط بفكرة جزئية تعرض فى فقرة أو عبارة ، أما هنا فهى أساس فى الحديث المثار) .

مثال :

ثـم من وادى هذا التلوين الأدبى للتفسير ، العرض لمعان تناولها القرآن والحديث والشعر ففى المراءاة يورد الجاحظ بيت الشعر :

ومولى كعبد العين أما لقاؤه　　فيرضى وأما غيبـه فظنون

ثم يعقبه بالتفسير اللغوى والشاهد القرآنى (ويقال للمرائى ، ولمن اذا رأى صـاحبه تحـرك له وأراه الخدمة والسرعة فى طاعته فإذا غاب عنه وعن عينه

خالف ذلك : إنما هو عبد عين . وقال الله عز وجل : " ومن أهل الكتاب مـن أن تامنه بقنطار يؤده إليك ، ومنهم من أن تأمنه بدينار لايؤديه إليك إلا ما دمت عليه قائما " أى أنه ثمة فريق من الكتابين لايؤدى حق الأمانة فى مواجهة صاحب الحق له وحضوره واياه .

من نماذج الإستخدام الأدبى تخالف مابين المعنى القرآنى والمعنى الشعرى :

ولقـد يـورد مـن المعنى القرآنى مايتخالف مع المعنى الشعرى ويضـاده ، وهـذا اللون من التقابل مما أولع به الجاحظ فى تفكيره وفى تعبيره جميعا يسوق بيت جرير فى مديح عمر بن عبد العزيز :

إنى لآمل منك خيراً عاجلا　　والنفس مولعة بحب العـاجل

ثـم يردفه بالنص القرآنى دون ما حديث، كأن فى الإستشهاد وحده دلالة مايريد :

وقال الله تبارك وتعالى :

قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾

وقال الله تبارك وتعالى :

﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾

فالشـــاعر متعلق بالأرض طامع فى الأجر ، والرسول ناظر الى السماء لايبغى إلا وجه الله .

وهــذا الإستخدام الأدبى ضمنه البلاغيون مباحثهم فى السرقات . وستجد من بعد بلاغياً كأبى هلال العسكرى يشيرإلى أن مثل هذا الصنيع فى تــوارد الشعر على معانى القرآن إنما يسيل بالأخذ الأدبى ، ومن ثم يضمنه مبحثه فى السرقات.

القصة تحتوى على رمز يشير إلى معنى قرآنى :

ولقــد يذكر الجاحظ القصة تحتوى على رمز فيستدعى ذلك ذكر آيــة ، كقصـــة هــذا الأسيرالذى رمز لما عليه حال العدو من قوة العتاد بالشـــوك ، وأنـــه لرمـــز يستخدمه التعبيرالقرآنى . وكأن القصة بعض التفسير الأدبى للآية ،

يقول الجاحظ : (.. وكذلك صنع العطاردى فى شأن شعب جبله ، وهو كرب بن صفوان ، وذلك أنه حين لم يرجع لهم قولا حين سألوه أن يقول ورمى بصـــرتين فى أحدهمـــا شوك ، والأخرى تراب ، فقال قيس بن زهير : هذا رجل مأخوذ عليه ألا يتكلم وهو ينذركم عددا وشوكة . فقال الله عز وجل :

﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ

ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾

استخدام التحقيق الأدبى فى المعنى القرآنى :

ومـــن هـــذا الـــلون الأدبى ما يعمد اليه الجاحظ من درس محقق يستعين فيه التاريخ الأدبى حين يحلل مثلا أشعار قيلت فى الرجم استغلها طاعنون فى الآية :

«وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَـٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾»

اللون الكلامى :

وهـــذه الـــناحية الكلامية أصلية عند الجاحظ فهو رأس فرقة اعـــتزالية ، وهـــو امام من أئمة المعتزلة تتلمذ على أبرز أعلامها النظام وتأثـــر بها تأثيرا يبدوا واضحا فى كتبه وخاصة " الحيوان " ولن نتحدث هـــنا عمـــا انفـــرد به الجاحظ من فرعيات فى مسائل الإعتزال فمجالها المبحث الكلامى البحت ، ولن يكفى أن نعطى المثل فى عرضه للنص – قرآنا وحديثا – بالتفسير والتاويل فى اطار المبادىء الإعتزالية العامة .

ان الآى الـــتى هى مجال الفكر الاعتزالى أولى ادوات فهمها العقل لأنها ليســـت من معطيات الحواس (وللأمور حكمان : حكم ظاهر للحواس ، وحكـــم بـــاطن للعقول ، والعقل هو الحجة وقد علمنا أن خزنة النار من الملائكـــة ، ليســـوا بدون خزنة الجنة، وأن ملك الموت ليس بدون ملك الســـحاب وأن أتانـــا بالغيث وجلب الحياة ، وجبريل الذى ينزل بالعذاب ليس بدون ميكائيل الذى ينزل بالرحمة ...)

(أ) الميدان الإعتزالى

حرية الإرادة مع العقل والمعرفة :

فمـــا هـــو اولا مـــن وادى تقرير مبادئهم ، حديث الجاحظ عن مسائل ترتبط بحرية الإرادة الإنسانية، وهى أهم مبادئهم الـــنابعة عـــن العقل والمعرفة. يثير حول فضل سائر الإنسان على الحيوان حديثا يؤثر به الإنسان ما خص من استطاعته تلزمه الحجة : (فـــأقول أن الفـــرق الـــذى بيـــن الإنسان والبهيمة والإنسان والسبع والحشرة والذى صير الإنسان الى استحقاق قول الله عز وجل :

وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ،

ليـــس هو الصورة وأنه خلق من نطفة وأن أباه خلق من تـــراب ،ولا أنه يمشى على رجليه ويتناول حوائجه بيديه لأن هذه الخصـــال كلها مجموعة فى البله والمجانين ، والأطفـــال ، والمنقوصيـــن .

والفرق الذى هو الفرق إنـــما هو الاستطاعه والتمكين وفى وجود الاســـتطاعة وجـــود العقـــل والمعـــرفة. وليس يوجب وجودهما وجود الاســـتطاعة. وقـــد شـــرف الله تعالى الجان وفضله على السبع والبهيمة بـــالذى أعطـــاه مـــن الاستطاعه الـــدالةعلى وجود العقل والمعرفة.وقد شـــــرف الله الملائكـــة وفضلهم على الجان ، وقدمهم على الإنســـان " وألزمهم من التكليف على حسب ما خولهم من النعمة" وليست لهم صورة الإنســـان ولم يخلقوا من النطف ، ولا خلق أبوهم من التراب وإنما الشأن فى العقل والمعرفة والاستطاعة.

(ب)الميدان الدفاعى

جانبا الميدان الكلامى:

هــذا إذن أول الميــادين الاعتزالى المقرر للمبادىء ، أما الميدان

الثانى فقد كان ميداناً دينياً دفاعياًيناقش الجاحظ فيه أولا أصحاب الديانات الأخـــــرى فى هجماتهم على الإسلام وطعنهم فى نصوص كتابه ، وقد كـــان مـــن أصـــعب مواقف المعتزلة البرهنة على غيبيات بأدلة عقلية ، خـــاصة أمـــام الدهريين المنكرين لكل مـــاهوغيبى .

الجانب الثانى من جوانب الميدان الكلامى :

فـــريق آخـــر جادله الجاحظ،وهم أولئك المسلمون الذين يخالفون المعـــتزلة رأيهـــم ، ولعله يكفينا هنا أن نشير إلى مـــا أداره الجاحظ من حـــوار عن الصمت والكلام وأيهم أفضل.ونحن نلمح تحت ذلك المظهر الجـــدلى الهـــادىء هـــذا الـــتيار الصـــاخب من الخصام فى الرأى بين المعـــتزلـــة والمحدثين،فإن المحدثين كانوا مرتبيطين بالنص الحديثى أو ظاهـــر الـــنص القـــرآنى لا يعدونهمـــا وكان موقفهما فى النقاش العقلى الكلامى من المعتزلة موقفاً سلبياً.فمنحاهم إذن تجاه الجدال منحى الصمت والســـكوت . ومـــن هذه الناحية يهاجم الجاحظ مبرزاً فى قوة ووضوح فضيلة البيان عن الصمت ، وحاجزاً ما قد يكون للصمت من فضيلة فى حدها الضيق الذى ينسجم وطبيعة ما فطر عليه الأنسان من البيان .

الميدان الاجتماعى منطقىالشكل اجتماعى المضمون:

والميـدان الـثالث فى هذا اللون الكلامى هو الميدان الاجتماعى ،وفى مـثل هـذا المجال نجد الجاحظ يثير النقاش فى قالب كلامى اللون فباعتـبار هـذا الـنقاش شـكلا مـنطقياً نجده كلامى اللون ،وباعتباره مضـموناًنجده اجـتماعياً يدور حول العصبية الإقليمية أو الجنسية ، من مـثل مـا يـثور بين العرب بعضهم وبعض .كهذه العصبية بين عرب الشـمال والجـنوب ،والـذى يركـز الجاحظ حولهاحديثه.كهذه العصبية الجنسـية القوميـة التى تحتل مكاناً بارزاً من تأليف الجاحظ ونعنى بها موقـف الشـعوبية والدين ،مفادة أن الشعوبية مرقاة إلى معاداة الإسلام: نفسـه (...وربمـا كانت العداوة من جهة العصبية فإن عامة من ارتاب بالإسـلام إنما كان أول ذلك رأى الشعوبية والتمادى فيه ،وطول الجدال المـؤدى إلى القتال ،فإذا أبغض شيئاً ابغض أهله، وإن أبغض تلك اللغة أبغـض تـلك الجزيـرة ،وإذا أبغض تلك الجزيرة أحب من أبغض تلك الجزيرة. فلا تزال الحالات تنتقل به حتى ينسلخ من الإسلام ، إذا كانت العرب هى التى جاءت به ،وكانوا السلف والقدوة).

اللون الموضوعى فى التفسير:

هضـم المعـتزلة ما فى القرآن الكريم من موضوعات بحكم أن الـنص القرآنى كان مدار احتجاجهم ودفاعهم . ومكنتهم ثقافتهم الفلسفية المنطقية من أن يتصف درسهم للقرآن أولاً بهذه النظرة الشاملة المحلقة ، ثم هو يتسم ثانياًبالتقصى الجزئى لآى القرآن وموضوعاته. ولعل الجاحظ حين سلك مسلك مدرسته فى السبيل ووسع نظرته الشاملة على ما تنادى بـــه اليوم من تفسير موضوعى للقرآن يتناول موضوعاً موضوعاً فى

وحــــدة متكاملة وفى نسقها التاريخى . تحدث الجاحظ عن موضوع النار فى القرآن .

تقويم التفسير الموضوعى:

حقــا لم يطبق الجاحظ منهج التفسير الموضوعى - بتفصيلاته كما نفهمـــه اليــوم ، ولكن على كل حال هو مدرك لأصل الفكرة ، وهو أن يكــون الموضوع القرآنى محور التفسير فى نسق تاريخى متكامل ، ذلك أن التفســير الجــزئى لــلقرآن فيـــه من غير شك إخلال بمعنى الوحدة الموضــوعية ،ولا زالــت غالبية تفاسيرنا حتى اليوم مجالها هذا النطاق الجزئى .

والمقصـــود باللون الاجتماعى الربط بين النص وملابساته المادية والمعـــنوية . أما ما نقصد إليه هنا فهو ما فطن إليه الجاحظ من مؤثرات حول النص ،تربط بين النص وبيئته المادية أو المعنوية، ومثل هذا الربط ضـــرورة له معطياته المعنوية ، ذلك أن تجريد النص من ظروفه يبيح الاحـــتمالات فيه . ولكن وضع اليد على ملابسات النص وأجوائه تحدد بدقه المدلول المراد بل وتوثق النص حين يطعن فيه طاعنون .

قـــال المؤمنون بما جاء من الآية فى قصة الفيل:(وقد جعل الله الفيل من أكـــبر الآيـــات وأعظم البرهانات للبيت الحرام ولقبلة الإسلام ، وتأسيساً لنبوة النبى صلى الله عليه وسلم وتعظيماً لشأنه ولما أجرى من ذلك على يدى جده عبد المطلب حين غدت الحبشة لتهدم البيت الحرام وتذل العرب فـــلم يذكر الله منهم ملكاً ولا سوقه باسم ولا نسب ولا لقب ؛ وذكر الفيل باســـمه المعروف ، أضاف السورة التى ذكر فيها الفيل إلى الفيل وجـل فيـــه من الآية أنهم كانوا إذا قصدوا به نحو البيت تعاصى وبرك ، وإذا

خلوه وسومه صد عنه وصدف .....) فقال الطائفون (كان الناس رجلين : رجل قد سمع بهذا الخبر من رجالات قريش الذين يجترون إلى أنفسهم بذلك التعظيم ،كما كانت السدنة تكذب للأوثان والأصنام والأنصاب لتجتر بذلـــك المـــنافع. ورجل لم يكن عنده علم بأن هذا الخبر باطل يتقدم على إنكار ذلك الخبر وجميع قريش تثبته) .

وهنا ينهض الجاحظ ليضىء ما حول النص ،بادئاً بتحليل التركيب الســكانى لمكـــة ،ثــم بيان حال القوم –نفسيا واجتماعياً– ممن عاصروا احداث الفيل.

الإنسان عالم صغير من عالم كبير.

حـــدد الجاحظ موقفاً للإنسان من هذا الكون ،الإنسان الذى تتلاقى فيه ملامح مما فى الوجود الكبير :(أو ما علمت أن الإنسان الذى خلقت السماوات والأرض وما بينهما من أجله، كما قال الله عز وجل :

وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ

إنمـــا سموه العالم الصغير سليل العالم الكبير ،لما وجدوا فيه من جميع أشـــكال مـــا فى العـــالم الكبير ،ووجدناله الحواس الخمس، ووجدنا فيه المحسوســـات الخمس،ووجدوه يأكل اللحم والحب ، ويجمع بين ما تقتاته البهيمة والسَّبُع ،ووجدوا فيه صولة الجمل ،ووثوب الأسد وغدرَ الذئبِ وروغان الثعلب وجبن الصفرد ، وجمع الذَّرَّة ، وصنعةَ السرقة ، وجودَ الديـــك ، وإلـــفَ الكلب ، واهتداءَ الحمام .. وسموه العالم الصغير لأنهم وجـــدوه يصور كل شىء بيده ، ويحكى كل صوت بفمه . وقالوا : ولأن أعضـــاءه مقســـومة عـــلى البروج الإثنى عشر والنجوم السبعة ، وفيه

الصفراء وهى من نتاج النار ، وفيه السوداء وهى نتاج الأرض وفيه الدم وهـو مـن نتاج الهواء ن وفيه البلغم وهو من نتاج الماء. وعلى طبائعه الأربع فجعلوه العالم الصغير إذ كان فيه جميع أجزائه وأخلاطه وطبائعه ، ألا تـرى ان فيـه طـبائع الغضـب و الرضا ، وآلة اليقين والشك ، والاعـتقاد والوقـف ، وفيـه طبائع الفطنة والغباوة والسلامة والمكر ، والنصـيحة والغـش ، والوفـاء ، والغدر والريا و الإخلاص .. وما لا يحصى عدده ، ولا يعرف حده) .

تأمل الجاحظ ودرسه للحيوان :

هـذا إذن هـو الموقف ، إنسان ينعكس عليه ما فى الوجود ولكنه عاجز عما اتيح للحيوان من قدرات ، وإذن فليكن هذا الحيوان مناط تأمله ، ومصـدر درسـه ثـم آيـةَ وعظِةٌ . لقد جعل تعالى جل وعز بعض الوحـوش كسـوباً محتالاً وبعض الوحوش متوكلاً غير محتال ، وبعض الحشـرات يدخـر لنفسه رزق سنته ، وبعضاً يتكل على الثقة بأن له كل يوم قدر كفايته .

الجاحظ يضع المعرفة فى خدمة الوجود :

إن الجـاحظ يضـع المعرفة فى خدمة هذا الوجود ، وفى تحدي مسـالك الإنسـان مـنه ، بالمعرفة تتكشف أسرار هذا الوجود ، ويتكيف الإنسان منه بحيث يفيد لدنياه كما يفيد لأخرته) ،

الجاحظ يجمع بين علوم الدين والدنيا :

وإذا كـان قـد تحدد على ضوء هذا النصوص أن للإنسان ، أى إنسان مسلكاً فى هذا الكون ، تتحقق به ذاته ، بأن ينفع بكذا بالكون حياته الـنفع المادى والروحى ، وأن يدخر لأخرته حسن الأجر ، وما هذا كله

إلا حصيلة النظر فى الكون وقبس المعرفة منه– فأجدر بالمتكلم أن يجمع الى علم الدين الفلسفة والمعرفة بالعلوم الطبيعية ؛ وهو ما يطلق عليه الجاحظ – معرفة الطبائع) ٠

الجاحظ يجمع بين علوم الدين والدنيا ويأخذ بالمنهج التجريبى فى العلم :

وبالعلم الطبيعى لا تتأكد معرفة إلا بعد تجربة ، ومن هنا أخذ المعتزلة ومنهم الجاحظ بالمنهج التجريبى يتوسلون به الى الحقيقة . ولنكتف هنا بخبرة ممارسة الجاحظ يرويها لقد شاع أن (الأفاعى تكره ريح السذاب والشيح، وتستريح الى نبات الحرمل . وأما أنا ألقيت رأسها وأنفها من السداب ما غمرها فلم أرى على ما قالوا دليلاً).

اللون النفســـى :

عوامل خبرة الجاحظ بالنفس الإنسانية :

أحاط بالجاحظ منذ صغره عوامل نَبّهَتُ فيه العقل ، وأيقظت الملاحظة وأرهفت الحس ، نشأ فى أسرة أحاط بها أسباب الولاء والتبعية ، ثم أحس مرارة اليتم ، وعض الفقر ، فقد كانت أمه تكفله ، وكان هو يعينها على اسباب العيش واجتمع الى هذا كله دمامته ، فهو شديد السمرة ، جاحظ العينين ، قصير القامة ، صغير الأذنين ، قصير العنق ...

كانت العيون تتقحمه ، ويحس هو هذا ، فينتبه لكل خطوة ، ويشعر بكل همسة وهكذا نشأ مفطوراً على الحساسية ، ولما اكتملت المعرفة وصعد من القاع حيث نشأ الى القمة حيث تقلب وتردد على ساح الخلفاء والوزراء والأعيان تجمعت لديه الخبرة الممارسة بما عليه النفس البشرية من طباع وميول تعلو أو تسفل خاصة وقد أحاطت به عوامل

الحسـد والعـداوة لما نبه أمره واتصلت بالسلطان أسبابه وصورت كتبه ملامح رائعة من خبرته بالحركات النفسية الأنسانية .

نظرة نفسية الى المكتوب :

وينظر الجاحظ الى الخط من زاوية النفس فى مجال الترهيب :

قال الله تبارك وتعالى :

«كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾

وقال الله عز وجل:

«فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾

وقال :

«فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾

.وقال :

«اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾

ولو لم تكتب أعمالهم لكانت محفوظة لا يدخل ذلك الحفظ نسيان ، ولكنه تعـالى وعـز عـلم ان الكتاب المحفوظ ونسخه أوكد وأبلغ فى الإنذار والتحذير وأهيب فى الصدور).

اللون الروائى :

موقف الجاحظ من اللون الروائى :

لـو تَسَمَّحْنَا لعَدَدْنَا الجاحظ مفسراً روائياً من غير شك إذ أنـه حاكية تفاسير روائية ، لكن ما نقصد هنا هو موقف الجاحظ من تلك

الألوان من التفسير المنقول . نلمح فى أحدهما التفسير القريب للنص بما لا ينحرف عن المضمون المراد ونلمح فى آخر من البدعية ما لا يتفق والنص ، وإنما يحاول اللفت بما فيه من غريب الخبر وجديد المعنى ، وثالث نلمح فيه من القصص ما هو من صنع الخيال أو من آثار قوم دخلوا الإسلام ودسوا فى التفسير تراثهم الأسطورى) .

الثقافة اللغوية عند الجاحظ :

يحس الجاحظ إحساساً عميقاً بقيمة الدرس اللغوى وخطورة استعمال اللفظة لما تحمله من شحنات معنوية يتنبه التفطن لها قبل أن تُرَسّى فى مكانها من العبارة المقولة ، وبغير ما تفصيل فى تقويم المعتزلة لدور اللغة إذ كانوا أصحاب نَظَرٍ ومقاولة يرمون الى الإقناع العقلى والتأثير الأدبى بما مجاله درسٌ وحده فإنما نمضى تواإلى حديث الجاحظ اللغوى أنه يرى ضرورة حذق اللغة مفرداتها ، ونظام تأليف عبارتها، ومنطق تعبيرها – لمن يدرس العلم أو يبحث فى الكلام . (فللعرب أمثال واشتقاقات وأبنية ، وموضع كلام يدل عندهم على معانيهم وإرادتهم ، ولتلك الألفاظ مواضع أخر ،ولها حينئذ دلالات أخر فمن لا يعرفها جهل تأويل الكتاب والسنه والشاهد والمثل ،فإذا نظر فى الكلام وفى ضروب من العلم ، وليس هو من أهل هذا الشأن ، هلك وأهلك).

ويذكر الجاحظ فى تنبه واع أن الألفاظ تختلف معانيها وإن تشابهت رسماً ونطقاً باختلاف مواطن القول وظروفه ، وهو ما يهتم ببحثه المعاصرون تحت اسم : علم دلالة المعنى من مستحدثات الدرس اللغوى ......يقول(وقد يشبه الاسم الاسم فى صورة تقطيع الصوت وفى الخط فى القرطاس ، وإن اختلفت أماكنه ودلائله، فإذا كان كذلك فإنما

يعــرف فضله بالمتكلمين به ،وبالحالات والمقالات والذين عنوا بالكلام ، وهذه جملة وتفسيرها يطول).وللجاحظ تطبيق فى هذا المجال نُعرض له بعد البسط لنظره اللغوى.

تطــور اللغـــة:

ويقــرر الجــاحظ أنـــه على اللغة أن تجرى سنة التطور ،تموت كــلمات وتــحيى أخــرى بالاشتقاق سنن كل مظهر اجتماعى عــرضة للــتطور والتغير،قال :(ترك الناس مما كان مستعملاً في الجاهلية أموراً كــثيرة، فمــن ذلـــك تسميتهم الخراج إتاوة ،وكقولهم للرشوة ولما يأخذه السلطان : الحُلاَّن والمَكْس .وأسماءٌ حدثت ولم تكن ،وإنما اشتقت لهم من أســماءٍ مــتقدمة ،على التشبيه مثل قولهم لمن أدرك الجاهلية والإسلام مخضرم .....ومثل التيمم وقال الله تعالى :

« فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا »

أى تحروا ذلك وتوخوه.

القرآن يشتق دلالات جديدة للألفاظ:

وهكــذا يعــرض الجاحظ للفظ القرآنى المشتق ،وما استحدثه من معنى ، فكلمة "المنافق " يتبعها فى معناها الحسى الأول ويلمح الصلة بين هذا المعنى الحسى وما أدخله القرآن عليه من دلالات جديدة يوصف بها الإنسان يقول: (واليرابيع ضرب من الفأر .قال، ويقال:نفق اليربوع ينفق تــنفيقاًإذا عمــل الـــنافقاء، وهى إحدى مجاحره ومحافره .وهى النافقاء والقاصعاء والداماء والراهطاء).

تطبيقات الجاحظ فى التفسير اللغوى :

ها هو يعالج فى سياقِ خبرٍ التفسير اللغوى : (ابن الكلبى عن أبيه أبى صــالح ، عــن ابن عباس قال :كان قيس بن مُحرمة بن المطلب بن عبد مناف بمكة حول البيت ،فيسمع ذلك من حــراء. قال الله عز وجل :

وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ

فالتصــدية هى التصفيق ، والمكاء هو الصفير أو شبيه بالصفير، لذلك: قال عنترة

وحليل غانية تركت مجدلا تمكو فريصته كشدق الأعلم .

استخدام اللغة فى التأويل خدمة للرأى الاعتزالى:

ولقد يكون هذا الغرض اللغوى مقصوداً به إلى تأويل النص تأويلا يتفق ووجهة النظر الاعتزالى فهم إذينكرون الرؤية الحسية لله يوم القيامة يحــاولون صرف معنى رأيت ونظرت وجهة مدلولات أخرى كهذا الذى يعرضه الجاحظ قال:

((أَلَمْ تَرَ كَيْفَ

فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾

مثل قوله:

((أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ))

هذا كله ليس من رؤية العين لنا.

وباب آخـــر من هذا ،وهو قوله :

وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ

إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾

" ويقول الرجل : رأيت الرجل قال كذا وكذا ،وسمعت الله قال كذا وكـــذا وفلان يرى السيف ،وفلان يرى رأى أبى حنيفه ،وقد رأيت عقله حسناً.وقال ابن مقبل :

ســل الدار من جنبى جبر فواهب بحيث يرى هضب القليب المضبح

وإذا قـــابل الجـــبل بالجبل فهو يراه،إذا قام منه مقام الناظر الذى ينظر إليه،وتقول العرب :دار فلان تنظر إلى دار فلان ،ودور بنى فلان تتـــناظر،وقال النـــبى صلى الله عليه وسلم " أنا برىء من كل مسلم مع مشرك " قيل:ولم يا رسول الله ؟ قال : " لا تتراءى نارهما ".

المجالات المعنوية للفظة القرآنية :

ويفطـــن الجـــاحظ إلى الرابطة المعنوية التى تربط مسميات لفظة قـــرآنية كالصياصــــى ،فـــفى معـــرض حديث صاحب الديك عن بعض خصــــاله(... وفى الديك الجولان ، وهو ضرب من الروغان ،وجنس من تدبير الحرب،وفيه الثقافة والتسديد، وذلك أنه يقدر إيقاع صيصيته .بعين الديـــك الآخــــــر ،ويـــتقرب إلى المذبح فلا يخطىء .....وله مع الطعنة ســـــرعة الوثـــبة والارتفـــاع فى الهواء .وســـلاحه طرير وفى موضع عجيـــب ، وليـــس ذلك إلا له ، وبه سمى قرن الثور صيصيه ،ثم سموا

الآطام التى كانت بالمدينة للامتناع بها عن الأعـداء صياصى ، قال الله عـز وجـل : "وأنـزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم" والعـرب تسمى الدراع وذا الجنة صـاحب سلاح، فلما كان اسم سلاح الديـك ومـا يمتـنع بـه صيصية الديك ، سموا قرن الثور الذى يجرح صيصـية ،وعلى أنه يشبه فى صورته بصيصية الديك وإن كان أعظم . ثم لما وجدوا تلك الآطـام معاقلهم وحصونهم وجنتهم ،وكانت فى مجرى الترس والدرع والبيضة، أجـروهما مجرى السلاح ،ثم سموها صياصى .ثـم أسـموا شـوكة الحائك التى بها تهيأ السداة واللحمة صيصيته . إذا كـانت مشبهة بها فى الصورة ، وإن كانت أطول شيئاً، ولأنها مانعة من فساد الحوك والغزل ، ولأنها فى يده كالسلاح ،متى شاء أن يجأ به إنساناً وجأه به .وقال دريد بن الصمة:

نظرت إليه والرماح تنوشه   كوقع الصياصى فى النسيج المسدد

التتبع اللغوى للفظة فى القرآن كله:

ويتتـبع الجاحظ بعض استعمالات القرآن للألفاظ فيقول فى الماء وقد أورد الاستعمال القرآنى وسط حشد من النصوص الأدبية والأحاديث النبوية وقال الله عز وجل فيها :

أَنْهَـٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ

ثـم لم يذكره بأكثر من السلامة من التغير ،إذ كان الماء متى كان خالصاً . سـالماً لـم يحـتج إلى أن يشـربه بشىء غير ما فى خلقته من الصفاء والعذوبة .والبرد والطيب والحسن والساس فى الخلق ....

قال الله عز وجل :

قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا

لأن الزجاج أكثـر ما يمدح به أن يقال :كأنه الماء فى الفيافى .

وقال الله عز وجل :

هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ .

وقال القطامى:

وهن ينبذن من قول يصبن به مواقع الماء من ذوى الغلة الصادى

وقال الله عز وجل :

وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ

فيقال أن ليس شىء إلا وفيه ماء أو قد أصابه ماء ، أو قد خلق من ماء ، والماء يسمى نطفة . وقال الله تعالى :

وَكَانَ عَرْشُهُۥ

عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا

..وسمى الله عز وجل أصل الماء غيثاً بعد أن قال :

وَكَانَ عَرْشُهُۥ

عَلَى ٱلْمَآءِ

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن –لابن قيم الجوزية.

وقد أثبت د. زكريا سعيد أنه المقدمة البيانية لتفسير ابن النقيب من رجـال القرن السابع الهجرى ، وهو من أهالى القدس أى هو من البيئة

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ .

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن –لابن قيم الجوزية.

وقد أثبت د. زكريا سعيد أنه المقدمة البيانية لتفسير ابن النقيب من رجـال القرن السابع الهجرى ، وهو من أهالى القدس أى هو من البيئة المصرية التى تضم مصر والشام .وفى الكتاب نظرة إلى القرآن على أنه نص أدبى فيه من الأغراض ما فى الإبداع الأدبى من شعر أو نثر : فيه الغـزل والوصـف ، والفخر،والمدح ،والذم، والرثاء والدعاء ،والحكمة، والمثل ، والمعرفة،،،،،ألخ.

قـال بعضـهم أحسـن الوصف ما قلب السمع بصراً.. ومنه فى القـرآن العظيـم كـثير مثل قوله تعالى فى وصف البقرة التى أمر بنو إسرائيل بذبحها لما سألوا أن توصف لهم بقولهم :

﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾

وقوله لما سألوه أن يصف لهم لونها قال إنه يقول :

﴿إِنَّهَا

بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّـٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾

وقولهم لما سألوه بيان فعلها قال إنه يقول :

﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ

تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾

فجمـــع فى هذه الآيةجميع الأحوال التى يضبط بها وصف الحيوان فإن الحيـــوان عند البيع والإجازة وسائروجوه التمليكات يحتاج فيه إلى معرفة سنه ولونه وعمله ثم يفتقر فيه إلى معرفة عيوبه فنفى الله سبحانه وتعالى عن تلك البقرة كل عيب بقوله – لاشية فيها – فجمع فى هذه الآية جميع وجوه الوصف فإنه فى الأول وصف سنها وفى الثانى وصف لونها وفى الـــثالث وصف خلقها وعملها ..والوصف قريب من التشبيه الإ أن الفرق بينهما أن التشبيه مجاز والوصف راجع إلى حقيقته وذاته . وفى القرآن العظيم والكلام الفصيح منه كثير .

الرثـــاء والتعـــــــــــزية :

فأمـــا الرثاء فهو مدح الميت بما كان فيه من المناقب المذكورة والمحاســـن المـــأثورة .مـــنه وقوله تعالى فى حق إبراهيم عليه الصلاة والسلام

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾

وقوله تعالى :

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾

وقوله تعالى فى قول نوح عليه السلام :

« وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾

وأمـــا التعزية فهو أن يذكر ما يتوسل به إلى تسلية مخلفى الميت ويصبرهم وإطفاء

نـــار ثكـــلهم .وفى القـــرآن من ذلك كثير وهى كثيرة فى أشعار المتقدمين والمتأخرين ...أما القرآن فقوله تعالى :

« لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ »

وقوله تعالى :

« وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ »

..وقوله تعالى :

« وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ »

وقوله تعالى

« كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ »

وقوله تعالى:

« أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ »

وقوله تعالى:

﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ﴾

. وقوله تعالى:

﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ
أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾

وقوله تعالى :

﴿ لَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ
خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾

وأمـــا الأشعار فقد ورد منها فى هذا كثير لا يحصى ...فمن أحسن ما
قول بعضهم:

مضى ابن سعيد حيث لم يبق مشرق ... ولا مغـرب إلا وفـيه مـادح
وما كـنت أدرى ما فواضل كفــه ... على الناس حتى غيبته الصفائح
وأصبح فى لحد من الأرض مفـرداً ... وكانت به حياً تضيق الصحاصح

..ومن بديع التعزية قول بعضهم :

أيتها النفس أجمـــلى جزعـــاً ... إن الـــذى تحذرين قد وقعا

..(وقول بعضهم :

قسمة المـوت قسمة لا تجـــورُ ... كل حى بكاسها مخمـــــور

..وقول الخنساء:

يذكرنى طلوع الشمس صخــــراً ... وأندبه لكل غــــروب شمس
ولولا كـــــثرة الباكين حولى ... على إخوانهم لقتـــلت نفســـى
وما يبكون مثل أخـــــى ولكن ... أسـلى النفس عنه بالتأســـى

((فـــى الشــــكاية))

وهى فى القرآن على قسمين ملفوظ بها .وغير ملفوظ بها ...أما الملفوظ بها ففى قوله تعالى :

قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ

ومن الشعر قول بعضهم:

إلى الله أشكو لا إلى الناس أننى   أرى الأرض تطوى والإخلاء تذهب

....وقال آخـــر

ولا خير فى شكوى إلى غير مشتكى   ولا بد من شكوى إذا لم يكن صبـــر

..وأما غير الملفوظ بها ففى القرآن منه كثير . من ذلك قوله تعالى :

﴿ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِى ﴾

وقوله تعالى حكاية عن نوح عليـــه الصلاة والسلام:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾

وقوله تعالى :

﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾

ومثله فى القرآن كثير وفى الشعر كثير ...فمن بديعه قول الشاعر :

يا الهى قد أثقلتنى الذنوب　　　فاعف عنى فالعفو منك قريب

وتجاوز عن مذنب بخطايا　　　عن الخيـــــر قبله محجوب

كل يوم يمضى عليه ويدرى　　　أنه من حياتــــــه محسوب

وهو فى غفلة بعيداًمن الخــ　　　ير قريب منه الخطا والذنوب

.....ومن بديعه أيضاً قول بعضهم :

يا من يناجى بالضمير فيسمع　　　انت المــــــــد لكل ما يتوقع

يا من يناجى للشدائـــد كلها　　　يا من إليـــه المشتكى والمفزع

يا من خزائن جوده فى قول　　　كن امنن فإن الفضل عندك أجمع

ما لى سوى قرعى لبابك حيلة　　　فإذا رددت فأى باب أقــــرع

ومن الذى أدعو واهتف باسمه　　　إن كان بــــرك عن فقيرك يمنع

حاشى لجودك أن يقنط راجياً　　　الفضل أجــزل والمواهب أوسع

... وفى هذا الباب أشعار كثيرة لا تحصى

((الحكايـــــة))

وهـــو أن يحـــكى كلام المتكلم إما بلفظه أو بمعناه والقرآن العظيم مشـــحون بذلك. وهو على قسمين .ظاهر .ومقدار..أما الظاهر فكما حكاه الله سبحانه وتعالى من قول الملائكة :

« قَالُوٓاْ

أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ »

ومنه قوله تعالى:

«وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ»

وكذلك كل ما حكاه الله تعالى من أقوال القرون الخالية والأمم الماضية .

وأما المقدار فكقوله تعالى :

«مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ»

التقدير يقولون – ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك – دليل ذلك أنه رد عليهم بقولهم :

«قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ

فَمَالِ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾

ومثله فى القرآن العظيم كثير ٠

((الغـــــــــزل))

واشتقاقه من الرقة لأن المتغزل يرقق ألفاظه حتى يستميل بها القلوب ويعدها للرسائل والوسائل بين المحب والمحبوب . وينبغى أن يكون ألفاظه مستعذبة ومعانيه ملهية مطربة . وينبغى أن يكثر فيـــه من ذكر الاجرع والحمى ٠ والولع والنقى ٠ وطويلع ٠ وقبا٠ والعقيق وحاجر .والمنحى وما أشبه ذلك من الألفاظ مثل ذكر المنـــــازل التى تترشف ذكرها القلوب وتصبو إليها النفوس من غير أن تراها وكذلك

يكثر فيه من ذكر الحنين والتشويق والتحزين. وقد يحتاج فى بعض المواضع إلى ذكر الكرم والشجاعة والفصاحة والبراعة لميل بـــذلك قلب المحبوب ويكون مدعاة إلى نيل المطلوب أ: ترى إلى قول بعض الشعراء

يــود بأن يمس عليلا لعلها إذا سمعت منه بشكوى تراسله
ويهتز للمعروف فى طلب العلى لتحمـــــد يوماً عند سلمى شمائله

...ومثل قول المتنبى:

أيقنت أن سعيداً آخذ بدمى لما بصرت به بالرمح معتقلا

أراد أنها إذا رأته على هذه الصورة المليحة هوته فنالها من هواه كما نال المتنبى من هواها فكأنه أخذ بثأره ..ومنه قوله فى هذه القصيدة أيضاً

عل الأمير يرى ذلـــى فيشفع لى إلى التى جعلتنى فى الهوى مثلا

يشـــير إلى أنها إذا أحبت الأمير علمت مقدار المحبة وعززت من يحبها كما قال :

إنما يرحم المحب المحبون ويحنو على المشوق المشوق

والقـــرآن الكـــريم من جملة إعجازه كثرة الشجا وترقيقه للقلوب واستمالته للنفوس بحيث أنه لا يسمعه أحد الإ ومال إليه قلبه وامتلأت به جوانحـــه وانطوت على مثل جمر الغضا ضلوعه وجرت على صفحات خـــده دموعـــه وفيـــه مـــن وصف الجنة ونعيمها ومنازل الزلفى وطيب رســـومها ما يشوق القلوب إلى لقائها ويشوق النفوس إلى الحلول بنفائها مثل قوله تعالى :

مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَـٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَـٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ.

وقوله تعالى:

«إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾

وقوله تعالى:

«وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾

وقوله تعالى :

«إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾

الى آخر السورة

وقوله تعالى :

«وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾

إلى آخر السورة. وفى القرآن العظيم من هذا النوع كثير.

((فى التشـــــــبيب))

وهــو اللفظ الدال على محاسن النساء ومحاسن اخلاقهن وتصرف احــوال اليهود معهن ويدخل فيه الشوق والتذكر لمعاهد الأحبة وتغيرها

بالــرياح الهابــة والبروق اللامعة وأمثلها .. ومن محاسن التشبيب قول بعضهم :

لو جادهن غداة رُمْن رواحا	غيث كد معى ما أردن يراحا
ماتت بفقد الظاعنين ديارهم	فكأنهم كانوا لها أرواحــــا
النائيــــاتُ النافذاتُ نواظراً	والنافذين اسنة وسلاحــــا
وأرى العيون ولا كأعين عامر	قدراً مع القدر والتاح مُتاحا
متوارئى مرض العيون وانما	مرض العيون بأن يكن صحاحا
لاعيب فيهم غير شُح نسائهم	ومن السماحة أن يكن شحاحا
طراقُتهُ فى أترابها فجلت له	وهناً من الغرر الصباح صباحا
وبسمن عن برد تألف نظمه	فرأيت ضوء البرق ثمت لاحا
أبرزن من تلك العيون أسنة	وهززن من تلك القدود رماحا
يا حبذا ذاك السلاح وحبذا	وقت يكون الحسن فيه سلاحا

والأشــعار فى مــثل هذا كثيرة . وفى القرآن العظيم من وصف النساء كثير مثل قوله تبارك وتعالى :

«عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾»

وقوله تعالى :

«حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾»

وقوله تعالى :

«قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ»

وفى القرآن العظيم كثير.

وفى القـــرن السادس يطبق الزمخشرى فى تفسيره الكشاف على نطـــاق واســـع نظرية النظم التى فلسفها عبد القاهر الجرجانى وجلب لها الشـــاهد مـــع التحليل ويصرح الزمخشرى منذ مقدمه أنه لابد من ادارة التفسير على محورين أساسيين هما : علم المعانى وعلم البيان .

والكشـــاف يـــنطق بهذا الجهد الأسلوبى الذى بذله الزمخشرى فى فهم القرآن وتذوقه . ويطور من بعده فى القرآن السابع الإمام فخر الدين الـــرازى فكرة النظم الى الوحدة الموضوعية التى تسلك أغراض متعددة فى السور القرآنية فى سلك واحد وسيتلقى الفكرة من القرن التاسع الإمام البقاعى – كما سنعرض بعد –

ومـــن قول البقاعى فى مخطوط (مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور) فى سورة العاديات وآيتها إحدى عشر فى جمع العدد ولا اختلاف فيها أربعة أحرف ومقصورة جل جلاله فيها العزو المالى الباقى عـــند ذى الجـــلال المدلـــول عليه بالقسم وهو العاديات والقسم عليه وما عطـــف عليه وقد علم أن اسمها أول على شى "على الملائكة " وأما فقلها مـــزوى أبو عبيدة عن الحسن قال: قال رسول –الله صلى الله عليه وسلم – إذا زلزلت تقول نصف القرآن والعاديات تقول نصف القرآن وللطبرى بإسنادين قال الهيثمى حدثنا جعفر بن الزبير وهو ضعيف عن ابى أمامة رضـــى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه ذكر عند الكنود فقال الذى يأكل وحده ويمنع رفده ويضرب عبده .

الهدف من التفسير :

التفسير الذى نطلبه هو فهم الكتاب من حيث هو دين يرشد الناس الى مـــا فيـــه ســـعادتهم فى حياتهم الدنيا وحياتهم الآخرة ، فإن هذا هو المقصد الأعلى منه وما وراء هذا من المباحث تابع له أو وسيلة لتحصيله

التفسير الذى يقصده محمد عبده :

وقـــد عـــرفت ان الإكـــثار فى مقصـــد خاص من هذه المقاصد يخرج بالكـــثيرين عن المقصود من الكتاب الإلهى ويذهب به فى مذاهب تنسيه معـــناه الحقيقى ، لهذا كان الذى نعنى به من التفسير هو ما سبق ذكره ، ويتـــبعه بـــلا ريـــب بيان وجوه البلاغة بقدر ما يحتمله المعنى وتحقيق الإعراب على الوجه الذى يليق بفصاحة القرآن وبلاغته .

المضمون القرآنى يؤكد الحاجة العملية للتفسير :

الاهـــتمام بالفقـــه يـــتوارى خلف ما يسميه محمد عبده الفقه العملى اى الاصـــطلاح الاجتماعى والخلقى والاحكام العملية التى جرى الاصطلاح عـــلى تســـميتها فقهـــا هى اقل ما جاء فى القرآن الكريم . وإن فيه من التهذيب ودعوة الأرواح الى ما فيه سعادتها ورفعها من حضيض الجهالة الى أوج المعـــرفة ، وارشـــادها الى طـــريقة الحياة الاجتماعية ، ما لا يســـتغنى عـــنه من يؤمن بالله واليوم الآخر ، وما هو أجدر بالدخول فى الفقه الحقيقى ، ولا يوجد الإرشاد إلا فى القرآن .

الظاهر من القرآن الذى يكفى لفهم العامى أما الخاص فجهده فرض كفاية :

خاطب الله بالقرآن من كان فى زمن التنزيل . ولم يوجه الخطاب اليهـــم لخصوصـــية فى اشخاصهم ، بل لأنهم من أفراد من أفراد النوع الإنسانى الذى أنزل القرآن لهدايته . يقول الله تعالى :

«يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ»
فهل يعقل أنه يرضى منا بألا نفهم قوله هذا ونكتفى بالنظر فى قول ناظر نظر فيه لم يأتنا من الله وحى بوجوب اتباعه لاجملة ولا تفصيلاً ؟ كلا ، انــه يجب على كل واحد من الناس أن يفهم آيات الكتاب بقدر طاقته ، لا فرق بين عالم وجاهل .

وفهم هذه المعانى يسهل على المؤمن من أى طبقة كان ومن أهل أى لغة كـــان . ومـــن الممكن أن يتناول كل أحد من القرآن بقدر ما يجذب نفسه الى الخير ويصرفها عن الشر ، فإن الله تعالى أنزله لهدايتنا ، وهو يعلم منا كل أنواع الضعف الذى نحن عليه .

اللفظ القرآنى ، التفرقة بينه وبين المصطلح وإستقراء معناه فى القرآن :

وللتفسير مراتب ، أدناها أن يبين بالإجمال ما يشرب القلب عظمة الله تعالى وتـــنزيه ، ويصـــرف النفس عن الشر ، ويجذبها الخير ؛ وهذه هى التى قلنا انها متيسرة لكل أحد .

وأما المرتبة العليا فهى لاتتم إلا بأمور :

أحدهـــا : فهـــم حقائق الألفاظ المفردة التى أودعها القرآن بحيث يحقق المفسر ذلك من استعلامات اهل اللغة غير مكتف بقول فلان وفهم فـــلان ، فـــإن كثيراً من الألفاظ كانت تستعمل فى زمن التنزيل لمعان ثم غلبت على غيرها بعد ذلك بزمن قريب او بعيد . من ذلك لفظ " التأويل " اشـــتهر بمعنى التفسير مطلقا أو على وجه مخصوص ، ولكنه جاء فى القرآن بمعان أخرى كقوله تعالى :

« هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ»

. فمـــا هـــذا الـــتأويل ؟ يجـــب عـــلى من يريد الفهم الصحيح أن يتتبع الاصطلاحات التى حدثت فى الملة ليفرق بينها وبين ما ورد فى الكتاب ، فكـــثيراً ما يفسر المفسرون كلمات القرآن بالاصطلاحات التى حدثت فى المـــلة بعـــد القرون الثلاثة الأولى فعلى المدقق أن يفسر القرآن بحسب المعـــانى التى كانت مستعملة فى عصر نزوله ، والأحسن ان يفهم اللفظ مـــن القرآن نفسه بان يجمع ما تكرر فى مواضع منه وينظر فيه – فربما اســـتعمل بمعان مختلفة كلفظ الهداية وغيره– ويحقق كيف يتفق معناه مع جمـــلة الآيـــة، فيعرف المعنى المطلوب من بين معانيه . وقد قالوا ان القـــرآن يفســـر بعضه ببعض ، وإن أفضل قرينة تقوم على حقيقة معنى اللفظ موافقته لما سبق له من القول ، واتفاقه مع جملة المعنى وائتلافه مع القصد الذى جاء له الكتاب بجملته .

يرى محمد عبده ان العلم بالأساليب ملكة مكتسبة بالسماع والمحاكاة :

ثانيهـــا : الأســـاليب ، فينبغى ان يكون عنده من علمها ما يفهم به هذه الأساليب الرفيعة ، وذلك يحصل بممارسة الكلام البليغ ومزاولته مه الـــتفطن لنكته ومحاسنه ، والعناية بالوقوف على مراد المتكلم منه . نعم انـــنا لا نتســـامى الى فهم مراد الله تعالى كله على وجه الكمال والتمام ، ولكـــن يمكنـــنا فهم ما نهتدى به بقدر الطاقة . ويحتاج فى هذا الى علم الإعـــراب وعـــلم الأساليب (المعانى والبيان) ، ولكن مجرد العلم بهذه الفـــنون وفهـــم مسائلها وحفظ احكامها لا يفيد المطلوب . ترون فى كتب العربية ان العرب كانوا مسددين فى النطق ، يتكلمون بما يوافق القواعد قـــبل ان توضـــع أتحسبون ان ذلك كان طبيعياًبهم ؟ كلا وإنما هى ملكة مكتسبة بالسماع والمحاكاة ولذلك صار أبناء العرب أشد عجمة من العجم

عـــندما اختلطوا بهم ولو كان طبيعياً ذاتياً لما فقدوه فى مدة خمسين سنة من بعد الهجرة

العلم بأحوال البشر وتحته معارف كثيرة منها التاريخ ومعرفة الكون :-

ثالـــثهما: علم أحوال البشرية فقد انزل الله هذا الكتاب وجعله آخر الكتب وبيـــن فيـــه ما لم يبينه فى غيره بين فيه كثير من أحوال الخلق وطبائعه والسنن الإلهية فى البشر وقصى علينا احسن القصص عن الأمم وسيرها الموافقـــة لســـنته فيها فلابد للناظر فى هذا الكتاب من النظر فى احوال البشـــر فى اطوارهـــم وأدوارهم ومناشيء اختلاف أحوالهم من من قوة وضـــعف وعـــز وذل وعلم وجهل وإيمان وكفر ومن العلم بأحوال العالم الكـــبير علوية وسفلية ويحتاج فى هذا الى فنون كثيرة من أهمها التاريخ بأنواعه .

أجمل القرآن الكلام عن الأمم وعن السنن الإلهية وعن آياته فى السموات والأرض وفى الأفـــاق والأنفس وهو إجمال صادر عمن أحاط بكل شيء عـــلما وأمرنا بالنظر والتفكر والسير فى الأرض لنفهم أجماله بالتفصيل الـــذى يريدنا ارتقاء وكمالاً ولو اكتفينا من علم الكون بنظرة فى ظاهره لكنا كمن يعتبر الكتاب بلون جلده لا بما حواه من علم وحكمة .

العلم يواجه هداية البشر : .

وهنا يدخل علم الاجتماع وعلم النفس بجانب علم التاريخ رابعها .

العـــلم يوجـــه هدايـــة البشر كلهم بالقرآن فيجب على المفسر القائم بهذه الفرضى الكفائى ان يعلم ما كان عليه الناس فى عصر النبوة من العرب وغيرهم ، لأن القرآن ينادى بأن الناس كلهم كانوا فى شقاء وضلال وأن النبى "ص" بعث به لهدايتهم واسعادهم.

تطبيق الشيخ محمد عبده على المنهج الأدبى فى التفسير

دروس من القرآن(*)

«وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾

تفسير الإمام:

المرجح أن هذه السورة من المكيات .وقد ورد عن الشافعى فيها أنه قال : لو لم ينزل إلا هذه السورة لكافة الناس. وفى رواية عنه: لو تدبر الناس هذه السورة لكفتهم .وصح أن الصحابة رضى الله عنهم كانوا إذا اجتمع اثنان منهم لم يتفرقا حتى يقرأ أحدهما على الأخر هذه السورة إلى آخرها ثم يسلم أحدهما على الآخر .وقد ظن الناس أن ذلك كان للتبرك وهو خطأ، وإنما كان ليذكر كل واحد منهم صاحبه بما ورد فيها ،خصوصاً فى التواصى بالحق ،والتواصى بالصبر،حتى يجتلب منه قبل التفرق وصية خير لو كانت عنده.

سنة الله فى القسم:

جرت سنة الله فى كتابه أن يقسم أحياناً بشىء من خلقه ،أو بشأن من شئونه ،لينبه الناس إلى ما أودع فيه من الحكمة ،وأنهم إن كانوا قد نسبوا إليه شىء من الشر ،أو ظنوا فيه ضرباً من السوء ،فهم مخطئون ؛ فإن السوء والشر ليسا من هذه الأشياء ، وإنما هذا فى نفوس المستعملين أو المعتقدين .وقد كانت أديان يظن أهلها أن هذا الكون الزمانى وما فيه كون شر وفساد . ومن الواجب على طلاب السعادة أن يحقروه ،وأن

* الأستاذ الإمام محمد عبده : دروس من القرآن ،دار الهلال القاهرة ص ٧٢ ــ ٧٥

يفـــروا مـــن طيـــباته ويجردوا أنفسهم إلى عالم آخـــر فوق عالم الكون والفســـاد فجاء الكتاب المبين ليبين لهم سوء فهمهم عن الله . ومن طرق تنـــبيههم إلى خطـــئهم تـــلك الأساليب التى جاءت فى القسم ووردت فى الكـــتاب .أراد أن يكشف لهم أن هذه الأشياء من حكمة الله بالمنزلة التى تبـــلغ أن يقســـم الله بها كأنها مما يعظمه الله ،وناهيك بذلك الذى يعظمه خالق كل شيء وموجد كل موجود الذى لا وجود لشيء إلا منه.

« وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾

"العصر" إما القطعة المعروفة من الدهر ،وهو الزمن الذى يعيش فيـــه المتكـــلم مع غيره ،سواء قدر بعدد السنين ،كمائة سنة مثلا ، أم لم يقـــدر ،وأمـــا الوقت المعروف من النهار ما بين الظهر والمغرب ،وكل منهما تصح إرادته .وقد اعتاد الناس سب الأول ،فكل يشتكى من عصره يقـــول:هـــو عصر جهالة ونذالة ، ونقص مروءة ،وخبث طوية، ورداءة عمـــل ،وينســـبون مـــا شـــاءوا من الخير إلى ما كان قبل عصرهم من العصور ، فأراد الله أن يزيح نفوسهم عن مثل هذا الاعتقاد ،بأن أقسم به ليدهش عقولهم بتعظيم ما ألفوا تصغيره،ورفع قدر ما اعتادوا تحقيره .

والعصـــر بالمعنى الثانى كان الوقت الذى يجتمع فيه الأعطال من العرب ، قريش وغيرها إماعند الحرم أو فى مواضع أخرى من منتديات الأحياء،ويخوضـــون فيمـــا لا خير فيه من غيبة أو هزء وسخرية أو لغو من الحديث مله عن جد العمل ،

فوقـــر فى نفوسهم أن ذلك الوقت نفسه هو قرارة السوء ومجتمع الشر ، فدفـــع الله عـــن ذلـــك الزمان إليهم ، وعلمهم ان الوقت نفسه بمنزلة من الشرف يصلح معها لأن يقسم به خالق السموات والأرض . فكان عليهم

أن يستعملوه فيما يناسب هذه المنزلة ،و[illegible] بطيب الأعمال ،فيخلصوا بذلك من الخسران الذى لم يلحق بهم الإ بسيئات أعمالهم.

إنمـــا ورد هذا القسم – على أن المعنيين– تأكيداً للخبر الذى أراد الله أن يســوقه إليــنا ،وهو أن الإنسان فى خســر إلخ. وإنما احتاج هذا الخبر إلى التأكيد ،لأن كثيراً من الناس يظنون أن من الأحوال والأعمال وراء ما ذكر فى هذه السورة ما لا خسارة فيه ،بل ويعتقدون أن السعادة فى التخلص من عقد الإيمان ، والعتق من قيود الفضائل ،وانطلاق النفس فيما يسمونه متسع الفكر وحرية العمل ،بدون تحرج من رذيلة ولا إحجام عن فاحشة، متى كانت تلذ للنفس فى العاجل ،وإن أدت بها إلى الهلكة فى الأجــل ...وإن من الأمم من يسعد وإن اتبع أفرادها أهواءهم ، وملكتهم شـــهواتهم ،ماداموا يكسبون المال ،ويوفرون على أنفسهم وسائل القوة فى زعمهم ،سواء آمنوا أم لم يؤمنوا ،عملوا الصالحات أم لم يعملوا ،تواصوا بـــالحق والصـــبر أم لـــم يتواصوا ،وأمثال هؤلاء الظانين يفوق عددهم الحصر فى كل زمان ومكان.

"ال" فى الإنسان للاستغراق كما يدل عليه الإستثناء فى قوله ((إلا الذين آمنوا)). و الاستغراق بأل فى لسان العرب ،ليس كالاستغراق بلفظ "كــل" الــذى يسور به المناطقة قضاياهم الكلية، وليست "ال" مساوية لـــ "كــل" الــتى تضاف إلى النكرة ويريد بها العربى تعميم الحكم فى جميع أفــراد الجــنس؛ وإنما يراعى فى "ال" استغراق المعهود عند المخاطبين ،لأنها فى لسانهم للعهد وتعريف الجنس إما فى فرد أو أفراد . ولن تفارق العهــد فى حـــال من الأحوال .وكذلك التى يسميها النحاة للعهد الذهنى ويــتحيرون فى الفرق بينها وبين النكرة ،ثم يقول من لايعرف خصائص

اللسان منهم أن الفرق فى اللفظ وإجراء أحكامه ،أما المعنى فلا فرق فيه: وهــو وهم فاسد فإن قول الرجل لعبده: "اشترِاللحم من السوق" لايفهم منه أى لحم فى الكون بأسره ،ولا أى سوق فى العالم بأجمعه ،ولكن قد عهد السـيد نوعاً خاصاً تعود العبد شراءه ،وأسواقاً خاصة هى أسواق المدينة الـتى يقيـم فيهـا وإن لم يتعين أحدها . فالعهد والتعريف به لم يفارقها ،والفـرق بيـن المعـنى معهـا والمعنى فى النكرة واضح لمن يعرف خصائص اللسان.

والإنســان الذى تجرى عليه الأحكام الإنسانية ، ويحدث عنه فى مـثل هـذه الشـئون،هو مـَنْ بـلغ سـن الرشد عاقلاً يميز بين الخير والشر،وليس يخطر بالبال عند التخاطب فى مثل هذا المقام الصبيان غير المكلفين ولا المجانين .ولو أتى بلفظ "كل إنسان " لشمل ذلك . ولا تؤدى "ال" مؤدى "كل" إلا بقرينه .فالاستغراق فى الآية على حقيقته وهو شامل لجميع أفراد المكلفين من الناس ،سواء كانوا ممن بلغتهم رسالات الأنبياء أم ممن لم تبلغهم كما سيأتى .

والخسر فى اللغة يطلق على الضلال وعلى الهلاك وعلى النقص ،وكل ما جر عليك عملك من شر فهو خسر لك وخسران وخساره، لأنك كـنت تبتغى بعملك الفائدة والثمرة الطيبة تجنيها منه ،فإذا جـر عليك ما كـنت تـتوقاه ،وحـرمك ما كنت تتوخاه ، فقد خسرت لأنك ضللت فى القصـد،ودخل النقص عليك فى بغية نفسك، وأتاك التعب من حيث تطلب الراحة.

وكل ما آلمك وأشقاك واقلق نفسك ،واضطرب له قلبك ،فهو نقص فى لذتـك وإذا عمـلت عملاً وأنت تقصد به سكون القلب ،وهناء العيش

،فحــدث انزعاج النفس، ونقص الطمأنينة، فقدضللت به القصد،وخسرت في السعى،والخســر فى الآيــة مطــلق لا يتقيد بدنيوى أو أخروى ،فكل مكــلف ممــن لم يتصف بالأوصاف الآتيه (فىالسورة)، يصيبه حظ من الخســران فى هذه الحياه أو فى التى بعدها ،لأن السورة مكية كما قلنا ، والخطــاب فى المكيات ،كانت تراعى فيه العموميات فى كثير من الآيات كمــا تــراه فى ســورة (والليل إذا يغشى) مثلاً والخسر يفقد الراحة وطمأنينة النفس.

٢ - تطبيق محمد مصطفى المراغى على المنهج الأدبى فى التفسير

دروس دينية(*)

قال فضيلته:

﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾

(الآية ١٧٧من سورة البقرة)

المفـــردات فضـــل هـــذه الآيـــة، سبب نزولها، الإيمان وأثره فى الإنســـان ، تعـــليق وتطبيق ، الإيمان الناقص ، الإحسان الى الجماعة ، الرق وعناية الإسلام به طريق التهذيب النفسى ، الصلاة ، الوفاء بالعهد ، الصبر .

المفردات :

البر : التوسع فى فعل الخير ، مأخوذ من البر مقابل البحر ، وقد تصـــوروا فى البر السعة فأخذوا منه البر بمعنى التوسع فى فعل الخير ، ويضاف الى الله تعالى نحو : ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ ﴾

* ألقاها حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الإمام الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر فى شهر رمضان ١٣٥٦هـ ، مطبعة الأزهر ١٩٣٨م

ويكـــون معناه كثير العطاء فياض الجود،ويضاف إلى العبد ويكون معناه التوســـع فى الطاعة ، فهو اسم جامع للطاعات وفعل الخيرات وقد جعل مقــــــــابلاً لــــــــــلفجور فى قوـــــــــله ســـــــــبحانه :

«إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾

وجعـــــــل مقـــــــابلاً للإثـــــــم فى قولـــــــه تعـــــــالى :

«وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ»

ويجىء بمعنى التوسع فى الإحسان ،ومنه بـــر الوالدين، وقوله تعالى:

«لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾

آمـــن : الأمـــن : طمأنينة النفس وزوال الخوف ، وقد اخذوا منه آمـــن بمعنى صدق وأذعن ، وانتقى عنه الريب والشك ، واطمأنت نفسه الى ما علمه ، وانشرح صدره له ، وزال عنه القلق ، فصار آمناً .

اليـــوم الآخر : هو يوم القيامة ، وهو الدار الآخرة ، مقابل اليوم الأول وهو أيام الدنيا .

الملائكـــة : خـــلق مغيب عنا لا يمكن ان ينفذ اليه ابتداء إلا علم الـــلطيف الخـــبير ونحن غير مكلفين إدراك حقيقتهم ، وإن كنا مطالبين باعتقاد وجودهم .

النـــبيين : النبوة : سفارة بين الله جل شأنه وبين ذوى العقول من عـــباده لإبلاغهـــم وحيـــه بما فيه سعادتهم فى الدنيا والآخرة .. والنبى : منـــبىء عـــن الله ســـبحانه وتعالى ومنبىء للعباد . والنبأ : خبر له فائدة عظيمـــة يحصـــل به العلم ، فليس كل خبر نبأ . ومن حق النبأ أن يكون عارياً عن الكذب .

ذوى القربى : أقارب الشخص ، بولادة الأبوين أو الجدين .

اليتامى : اليتيم : الصبى الذى انقطع عنه أبوه قبل البلوغ .

المســـاكين : المســـكين : هـــو المحتاج الدائم السكون الى الناس لحاجته اليهم ، فإذا سالهم سمى سائلاً .

ابن السبيل : هو المسافر المنقطع عن ماله وبه حاجة تحمله على عـــدم الإيواء فى مكان وعلى ملازمة الطريق ، ويقال للطير الذى يلازم الماء : ابن الماء

إقامـــة الصلاة : تعديل أركانها ، ومراعاة سننها وآدابها ، وجعلها مشتملة على الإخلاص لله ومراقبته ، مأخوذة من قولهم : أقام العود قومه وأصلحه .

العهد : الموثق الذى تجب مراعاته .

الصـــبر : الإمســـاك عن الشىء فى ضيق ، يقال : صبرت الدابة حبســـتها بلا علف ، وهو فى الشرع : حبس النفس عما هو محرم شرعاً أو محظور عقلاً. والصبر : أسم عام تحته أفراد تخص بأسماء ، فحبس النفس فى الحرب يسمى شجاعة ؛ وحبس النفس فى نائبة مضجرة يسمى زهداً ؛ وحبسها عن الغيظ يسمى حلماً . الى غير ذلك .

المــتقون : المــتقى : مأخوذ من وقاه اى جعل له وقاية فاتقى ، والوقاية فرط الصيانة والمتقى فى الشريعة : هو الذى يمنع نفسه تعاطى ما يستحق به العقوبة من فعل أو ترك .

فضل هذه الآية :

روى عــن النبى – صلى الله عليه وسلم – ((من عمل بهذه الآية فقد استكمل الإيمان)) ذلك أنها مشتملة على جميع أفعال الخير وصفات الكمــال البشــرى تصريحاً وتلويحاً كما يعلم مما يأتى ؛ وهى على تكثر فــنونها وتــنوع ضــروبها منحصرة فى خلال ثلاث : صحة الأعتقاد ، وحســن المعاشــرة مــع العباد ، وتهذيب النفس ، وقد اشير الى الأول بالإيمان بالله واليوم الأخر والملائكة والكتاب والنبيين؛ والى الثانية بإيتاء المال والوفاء بالعهد ، والى الثالثة بإقامة الصلاة والصبر . ولذلك وصف الله سبحانه الحائزين لهذة الصفات بالصدق والتقوى .

سبب نزول الآية :

كان المسلمون أول الأمر يتوجهون فى الصلاة الى بيت المقدس ، ثم حولت القبلة وأمروا بالتوجه الى البيت الحرام . قال الله تعالى :

« قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ »

وبهــذا الــتحويل اغتــبط المســلمون وفــرحوا لأن الكعبة بيت ابراهيم واسماعيل جدى العرب ؛ وتألم اليهود والنصارى لأن بيت المقدس قبلتهم

وكـــانوا ، يحبون بقاء المسلمين معهم ، وخاض الجميع فى الأمر واشتد كـــل فريق ينصر رأيه . فنبه الله تعالى الى خطئهم ، وبين أن الجدل فى مثل هذا ليس من شأن العقلاء ، لأنه جدل خارج عن دائرة البر والخير ، إذ لا تفاضـــل لـــلجهات ، ولا للأمكـــنة ، ولا الأزمنة فى ذاتها ، وإنما الفضل لما يحصل فيها من الخير ، فيجب ان يبحث عن الخير : أين هو ، وبم يتحقق ؟ وأن يحرص على تحصيله والاتصاف به .

أصول الخير :

انـــزل الله هذه الآية حسماً لهذا الجدل الذى لاخير فيه ، وبين لهم فيهـــا لأن الخيـــر الجـــامع هـــو صحة العقيدة ، والإحسان الى الجماعة البشـــرية ، وتهذيب النفس واتصافها بمكارم الأخلاق ، وأن صحة العقيدة تحصـــل بالإيمـــان بـــالله واليـــوم الآخـــر والملائكة والكتاب والنبيين ، والإحسان الى الجماعة يكون بإنفاق المال وبذله ، وإيفاء العهد ، وتهذيب النفس يحصل بالصلاة و الصبر .

الإيمان وأثره فى الأنسان :

الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين مبدأ كل خير وأســـاس كـــل فضيلة ، لأنه يستتبع صدور الأعمال الصالحة ، واتقاء الشـــرور ، ويصـــير الإنســـان خيراً فاضلاً ، يفعل الخير لذاته وابتغاء رضوان الله ويترك الشر لذاته وامتثالاً لأمر الله .

والإيمـــان بـــالله يشـــمل الإيمان بأنه قادر عالم حكيم ، بر رحيم ،متصـــف بجميـــع صفات الكمال ، لا يأمر إلا بما هو حسن نافع ، ولا ينهى إلا عما هو ضار قبيح ، هذا الإيمان يستتبع تقبل الوحى جميعه مع الإذعـــان و التسليم والرضا و الطمأنينة الى انه حق كله ، فقد عرف عن

الانســـان الرضا بنصيحة الرجل المجرب الحكيم ، فكيف به مع نصيحة الإلـــه العـــليم الحكيم المحيط بما فى السموات والأرض ، المطلع على الســـرائر وخفايا النفوس ، الذى يضع الأمور مواضعها ، ويقدرها تقديراً ، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال .

والإيمـــان بـــاليوم الآخر يهون أمر الحياة الدنيا ، ويحقر شأنها ، ويجعلها عند المؤمن طريق الآخرة ووسيلة لها ، لا يحب منها إلا ما كان مقـــرباً الى الله ، وســـبيلاً الى سعادة الآخرة ، ولا يحرص عليها حرص مـــن ليس له مطمع وراءها بل سيان عنده ان يبقى فيها عاملاً للصالحات ، وان يفارقها فراراً من شرها وتعجلاً لنعيم مقيم عند رب العالمين .

هذا المؤمن بالله واليوم الآخر تهون عليه نفسه ، ويهون عليه ماله ويهـــون عـــليه كل شئ فى الحياة فى سبيل الحق وفى سبيل رضا الله وإعـــلاء كلمـــته . ذلك انه يعلم ان رضوان الله أكبر من كل شئ ، وأن نعيم الآخرة نعيم دائم ، وأن الدنيا ظل زائل .

والإيمـــان بالملائكة وسيلة الى الإيمان بالكتب والأنبياء ، والأيمان بالكـــتب يســـتلزم الوقـــوف عند حدودها ، وتقبل ما فيها ، ، واعتقاد انه الخير و السعادة .

والإيمـــان بالأنـــبياء يســـتتبع التخـــلق بـــأخلاقهم ،والاهـــتداء بهديهم،والتأدب بأدبهم.

تعليق وتطبيق :

هـــذا ،وقد قلنا إن الاطمئنان والاستسلام من لوازم الإيمان،وعلى ذلـــك فالمسلم الذى يفرق بين أحكام الإسلام فيقبل بعضاً ويترك بعضاً ، ويـــرى بعضـــها حســـناً وبعضاً غير ملائم ، لا يمكن أن يكون مصدقاً

بالكتاب كله ، بل هو يؤمن ببعض ويكفر ببعض . وكيف لا يقبل الكتاب كله إذا كان يعتقد أنه حق ، يصدق قوله تعالى جل شأنه:

« ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾

هذا الذى يكفر بالبعض يدخل فى قوله تعالى :

« أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾

وقد اصيب الإسلام قديماً وحديثاً بطائفتين نسبتا اليه بغير حق : طائفة سحرت ببعض الآراء والمذاهب ن وفتنت ببعض الشرائع ، وطائفة شغلت نفسها بما هو بعيد عن مقاصد الإسلام ، وما يرمى اليه من نصر الحق والفضيلة ، وسعادة الجماعة البشرية ، وتطهير النفوس وتهذيبها ، والاستهانة بالحياة جميعها ، اذا لم تعاضد الحق وتناصره ، الحق الذى به قامت السموات والأرض ، والذى به نزل القرآن وهؤلاء مثلهم كمثل أولئك الذين خاضوا فى القبلة وبين الله لهم أن ذلك ليس من البر .

وها نحن أولاء نرى ضعف حال المسلمين بالبعد عن الهدى الإلهى ؛ ونرى العالم يتخبط فيما ابتدعه من مذاهب وآراء ، وفيما صار اليه من مادية يتلظى فى نارها المتأججة .

وأصـــحاب المدنية هم الذين يحبطون لهذه النار ، وسوف تأكلهم وتذروهـــم الرياح إن لم يثوبوا الى رشدهم ويعودوا الى روحية التدين ، والى طلب الحق عند الله جل شأنه .

الإيمـــان بـــالله ورسله لا يكون براً حتى تتحق آثاره ، ويكون الله ورسوله أحب الى العبد من كل شيء سواهما ، قال الله تعالى :

«قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾

ولا يكون براً حتى تتحقق فى المؤمن الصفات التى وصف الله بها المؤمنين فقد وصفهم بأنهم تطمئن قلوبهم بذكر الله ، وبأنهم إذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اقبلوا وقالوا سمعنا وأطعنا ، وقال فيهم :

«إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ »

هذا هو الإيمان .

الإيمان الناقص :

أمـــا التصـــديق الذى لايستتبع الآثارأو تكون له آثار ناقصة ،فهو إيمـــان نـــاقص لا يوصف صاحبه بالصدق ولا بالتقوى ، ولاينجيه من

عذاب النار وسوء المصير، وقد قال الغزالى : مثل المؤمن الذى لايعمل والمؤمــن الــذى يعمــل كمثل شجرة القرع إذا قالت لشجرة السرو : أنا شــجرة وأنــت شجرة ، فتقول شجرة السرو : مهلاً حتى يأتى الخريف فنقتــلعك ، ويطيــر بك الهواء ، أما أنا فأبقى راسخة تزيل العواصف ما جــف مــن أوراقى وتبقى الأوراق النضرة . هكذا حال المؤمن تصفية الــنوائب فيخرج منها نقياً سليم العرض ، سليم العقيدة ، كالذهب تصفيه الــبوتقة فيظهــر نقياً لامعاً . أما ضعيف الإيمان فإن النوائب تذهب بما عــنده منه، ويخرج منها مرذولاً ، مثلوم العرض ، كسير النفس ، ذليلاً عند الله وعند العباد .

الإحسان الى الجماعة :

بعــد أن بيــن الله ســبحانه وتعالى ما يرجع إلى العقيدة ،بين ما يتم به الإحســان إلى الجماعة، والإنسان كائن يختلف عن غيره أشد الاختلاف، فهــو كثير الحاجات ، متنوع الرغبات ،بعيد الأمل كثير الطمع ، يحتاج لغيــره فيما يقوم البدن ويستره ويرفه عيشه ،وفيما يصلح نفسه من العلم والــتهذيب ،لا تقف رغباته عند حد ، ولا يستقر على حال ،ويحتاج إلى غيــره فى حمايــة نفســه من العاديات ،فلا يمكن أن يعتبر الفرد وحدة منفصلة عن الجماعة ،بل يجب أن يعتبر جزء من وحدة ومتمماً لها ،فلا بــد أن يتبادل مع أجزاء الوحدة ما يحفظ هذه الوحدة سليمة ويعود عليها بالخيــر والــبركة ،بهذا الاعتبار كان مطالباً بأن يقدم للوحدة نفسه وماله وكــل مــا وهبه الله إياه من علم وعقل وتهذيب .غير أن الإنسان أنانى أيضــاً يحب نفسه ، ويحب ماله ،لأنه يرى فى المال حفظ النفس والتمتع بالمــلذات فيحرص عليه لذلك ويشتد حرصه ،فأرشد الله تعالى العباد إلى

مـــا يجب أن يكونوا عليه من التعاون، وحثهم على إنفاق المال كما حثهم عـــلى تقديـــم النفس عند الحاجة ،ولم يقبل الله الإنفاق ولم يجعله براً الإ حيـــث يكـــون المال المبذول محبوباً،وحيث يكون البذل نفسه محبوباً بعد رياضـــة الـــنفس عـــليه واعـــتياده ،وهـــذا هـــو قولـــه تعـــالى : « وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ»

ولا يكون البذل براً الإ حيث يكون فى موضع البذل ، ولذلك بين الله مـــن يـــبذل إليهم المال ، وأنهم :أهل القرابة واليتامى والمساكين من ســـأل مـــنهم ومـــن لم يسأل،والغرباء المحتاجون المنقطعون عن بلادهم وأموالهم،والعـــبيد الأرقاء،والإنفـــاق إليهـــم إما بشرائهم وعتقهم ، وإما بإعطائهم المال ليخلصوا به أنفسهم من مواليهم عند الكتابة.

وقـــدم الله ذوى القـــربى لأن الانفاق عليهم صدقة وصلة للرحم ، وثـــنى باليـــتامى لأنه إذا فقـــد عائلـــتهم فقد وجب على الجماعة البشرية صيانتهم وحفظهم .

عناية الإســـلام بالرقيق ومشروعية الـــــــرق:

وجعل الله للرقاب سهماً من الصدقة ،وسهماً من الزكاة أيضاً؛لأن الإســـــلام يعتـــبر الإنســـان حـــراً بطبعه، ولا يرضى الـــرق الإ حيث يخرج الإنسان عن طبع الإنسان فيقف فى سبيل حرية الرأى ، وفى سبيل نشـــر الفضيلة والدين الحق .إذ ذاك يصح أن تهدر آدميته ويعامل معاملة الـــبهيمة . غير أنه مع ذلك قد شـــرع الإسلام للتحرير طـــرقاً كثيرة فى الكفارات ، وفى أموال الزكاة المفروضة ،وفى الصدقات غير المحدودة.

وإيــتاء المــال فى هــذه الآيه غير الزكاة .فالزكاة محدود بالنوع والمقــدار ،بيــنها النــبى – صلى الله عليه وســلم ــ ولها فى المذاهب فــروع وتفاصيل .

أمـــا إيتاء المال هنا فليس محدوداً بقــدر معين ،ولا زمن معين ،وإنما هو واجب دائماً عند الحاجة وبمقدار الحاجة.

طــريق التهذيب النفسى :

بعد هذا بين الله تعالى ما يهذب النفس وهو الصلاة ، ففى الصلاة توجــه إلى الحــق المعــبود ، وانقطــاع عــن الخلق ، وتفريغ للسر ، وانصــراف إلى ذى العـــزة والجبروت،المحاســب عــلى الأعمــال جميعها،والمجــازى على الذرة من الخير والشــر وفى الصلاة اعتراف بأن الله هو المعبود وحــده ، والمستعان وحــده ، ومن شأن ذلك كله أن يديــم مراقبة الله فى الأعمال جميعها،وأن يصفى النفس ويهذبها ،فتصدر الأعمــال فى الســروالعلانية وفق أوامــر الله ،نافعة لعباده ،ومن شأن هذا أيضاً أن ينتهى الشخص عن الفحشاء والمنكر.

هذه هى الصلاة التى جعلها الله نوعا من البر ، وفيها قال :
ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ ،

وقال :

إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾

الوفـــاء بالعهد:

بقى بعد هذا مما عـــده الله بـــراً:الوفاء بالعهد ،والصبر ، والوفاء بـــالعهد قسم منه يرجع إلى معاملة الله جل شأنه ، وقسم منه يرجع على معاملة العباد . ذلك أن العهد ميثاق وتعاقد ، منه ما هو صريح ،ومنه ما هـــو ضـــمنى ، فـــالذى آمن بالله ورسوله قد اعطى عهداً لله ورسوله ، والتزم الوفاء به واتباع ما قضى به الله ورسوله ،والتزم أن يهتدى بهدى الرسل ويقتدى بهم ،والإنسان فى الجماعة البشرية ملتزم ضمناً أن يتبادل معهـــا المـــنافع ، وأن يكون عضواً صالحاً حسب استعداده وطاقته ،وأن يشركها فيما وهبه الله إيـــاه من علم ومال وقـــوة.

والمـــتولى لعمل من أعمال الدولة،سواء أكان ذلك العمل صغيراً أو كبيراً، ملتزم أن يوفى ذلك العمل ، وأن يجيد فيه ويحسن ، وألا يضـــار أحـــداً من الأمة ، وألا يأكل أموال الناس بالباطل ،وألا يحيف على أحد ، وألا يظـــلم أحـــداً ، فهو ملتزم حدود الله ، وملتزم أيضاً قانون البلد فى غيـــر معصية الله ن وهناك التزامات فردية بين شخص وشخص آخر ، وهى العقود ، والإنسان مطالب أمام الله جل شأنه بإيفاء العهود جميعها ، وهذا الوفاء نوعٍ من البر .

هـــذا، وإذا تدبرنا ما حل بالأمم من هوان ، وما أصابها من ذل ، وجدنا أعظم أسبابه فى ترك إنفاق المال وبذله ، وفى الغدر وعدم الوفاء بالعهد ، والغدر والبخل مبيدان الأمم ، معجلان لعقوبةً الله فى الدنيا .

الصـــــــــــبر :

أمـــا الصـــبر فقد جعله الله من أنواع البر: فى الفقر والمرض ، والقـــتال ، وهو فى غيرها من أنواع البر أيضاً . ولكن الاقتصَار عليها

لأن الصبر فيها أشد من الصبر فى غيرها ن وقد ذكر الله سبحانه الصبر فى كتابه الكريم أكثر من سبعين مرة ، وأضاف إليه أكثر الخيرات وأرفع الدرجات ،من ذلك

"إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ

أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾

"وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ

أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾

وفى رسالة لعمر الفاروق -رضى الله عنه – عليك بالصبر،واعلم أن الصبر صبران،أحدهما أفضل من الآخر،الصبر فى المصيبات حسن ، وأفضل منه الصبر عما حرم الله "

ثم ختم الله هذه الآية الجامعة لصفات الكمال البشرى وأفعال الخير بقوله:

"أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾

تنويهاً بشأن الذين تحلوا بهذه الصفات، وتنبيهاً إلى أنهم بها كانوا هم الصادقين المتقين.

نسأل الله أن يجمعنا من الصادقين المتقين ! والله أعلم.

٣- التطبيق على المنهج الأدبى عند الشيخ أحمد مصطفى المراغى

سـورة الدخـان(*)

هى مكية ، وآياتها تسع وخمسون ، نزلت بعد الزخرف . ٠

ومناسبتها لما قبلها من وجوه:

١. إنه تعالى ما قبلها بالوعيد والتهديد ، وافتتح هذه بالإنذار الشديد .

٢. إنه تعالى حكى فيما قبلها قول رسول الله- صلى الله عليه وسلم - " يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون ، وحكى هنا عن أخيه موسى "

«فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾

«فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

٣. إنه قال فيما سلف:

وحـكي هـنا عـن موسـى :

«وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾

و قريب من ذلك .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

«حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ

* أحمد مصطفى المراغى ، استاذ الشريعة واللغة العربية بكلية دار العلوم : تفسير المراغى ، دار احياء التراث العرابى بيروت جـ ١ ١ ، ١٩٨٥

إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾

تفسير المفردات:

ليـــلة مباركة : هى ليلة القدر، منذرين: أى مخوفين، يفرق : أى يفصل ويبين ، حكيم : أى محكم لا يستطاع أن يطعن فيه بحال،موقنين: أى تطلبون اليقين وتريدونه كما يقال منجد منهم: أى يريد نجداً وتهامة.

المعنى الجملى :

أقســـم جـــلت قدرته بكتابه الكريم المبين لما فيه صلاح البشر إنه أنـــزل القرآن فى ليلة القدر لإنذار العباد وتخويفهم من عقابه ، وإن هذه الليـــلة يفصـــل فيهـــا كل أمر حكيم ، فيبين فيها التشريع النافع للعباد فى دنيـــاهم وآخـــرتهم ، وهو رب السموات والأرض وما بينهما فلا تخفى عـــليه خافيـــة من أمرهم ، وهو الذى بيده إحياؤهم وإماتتهم ، وهو ربهم ورب آبـــائهم الأولـيـــن ، ولكنهم يمترون بعد أن وضح الحق ، وأفصح الصبح لذى عينين .

الإيـــضــــاح:

حـــمُ أسلفنا الكلام فى مثل هذا من قبل .

وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ

أقســـم ربنا جلت قدرته بكتابه المجيد إنه بدأ ينزل القرآن فى ليلة مباركة هى ليلة القدر التى هى خير من ألف شهر كما جاء فى قوله :

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾

مـــن شـــــهر رمضـــــان كمــــا قــــال ســــبحانه ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾

والخلاصة أن بدء نزوله كان فى ليلة القدر ثم نزل منجماً بعد ذلك فى ثلاث وعشرين سنه بحسب الوقائع حالاً فحالاً وقد عقد السيوطى فى كتابه (الإتقان) أبواباً لنزول القرآن فقال : باب ما نزل منه صيفاً ، باب مــا نــزل منه شتاءً ، باب ما نزل منه سفراً، باب ما نزل منه حضراً ، باب ما نزل منه فى الأرض ، باب ما نزل منه فى السماء ، باب ما نزل مــنه بيــن الأرض والسماء ، باب ما نزل منه بمكة ، باب ما نزل منه بالمدينة ، باب ما نزل بين مكة والمدينة – إلى آخر ما قال فليراجع فإن فيه فوائد نفيسه .

ثم بين السبب فى إنزاله فقال :

﴿ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾

أى إنـــا كنا معلمين الناس ما ينفعهم فيعملون به وما يضرهم فيتجنبونه ، لتقوم حجة الله على عباده .

ثم بين سبب تخصيص نزوله بتلك الليلة فقال:

﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾

أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾

أى فى هــذه الليلة بدأ يبين سبحانه ما ينفع عباده من أمور محكمة لا تغييــر فيهـــا ولا تبديل . بإنزاله ذلك التشريع الكامل الذى فيه صلاح

البشـــر وهدايتهم وسعادتهم فى دنياهم وآخرتهم ، ولا غرو فهى من لدن حكيم عليم بما يصلح شئون عباده فى معاشهم ومعادهم .

ثم بين السر فى نزول القرآن على لسان رسوله فقال :

﴿ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾

أى إنـــا أرسلنا الرسول به رحمة منا لعبادنا حتى يستبين لهم ما يضرهم وما ينفعهم وحتى لا يكون لهم حجة بعد إرسال الرسول به .

ثم أكـــد ربوبيته بقوله:

((إنه هو السميع العليم)) أى إنه إنما فعل تلك الرحمة ، لأنه هو السـميع لأقوالهـــم ، العليم بما يصلح أحوالهم ،فلا عجب أن أرسله إليهم لحاجتهم إليه.

ثم أكد العلة فى سمعه للأشياء و علمه بها فقال :

﴿ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝ ﴾

أى إنـــه هـــو السـميع لكـــل شىء العليم به ،لأنه مالك السموات والأرض وما فيهما إن كنتم تطلبون معرفة ذلك يقين لا شك فيه .

وبعد أن أثبت ربوبيته ووحدانيته ، فقال:

﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ﴾

أى هـــو الإله الذى لا تصلح العبادة إلا له وهو المحيى المميت ، فيـــحيى ما يشاء مما يقبل الحياة ، ويميت ما يشاء عند انتهاء ما قدر له من الأجل.

﴿ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ ﴾

أى هــو مــالككم والمتصرف فيكم،ومالك آبائكم الأولين ومدبر شئونهم، فاعبدوه دون آلهتكم التى لا تقدر على ضر أو نفع.

ثــم بيــن أنهم ليسوا بموقنين بالجواب بعد أن تبين لهم الرشد من الغى فقال:

« بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾

أى بــل هــم فى شك من التوحيد والبعث والإقرار بأن الله خالقهم ،وإن قــالوا ذلك فإنما يقولونه تقليداً لآبائهم من غير علم ، إذ هم قابلوه بالهزؤ والســخرية فعــل اللاعب العابث الذى بأخذ الجد ومالا مرية فيه ، اخذ الهزل الذى لا فائدة فيه .

« فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ هَـٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ»

تفسير المفردات :

ارتقــب : أى انــتظر من قولهم : رقبته أى انتظرته وحرسته ، والمــراد من الدخان ما أصابهم من الظلمة فى أبصارهم من شدة الجوع حــتى كــأنهم كانوا يرون دخاناً ، فإن الإنسان إذا اشتد خوفه أو ضعفه أظــلمت عيناه ورأى الدنيا كالمملوءة دخاناً يغشى الناس: أى يحيط بهم ، اكشــف عــنا : أى أرفع عنا ، أنى : أى كيف يكون ومن أين معلم أى يعــلمه غــلام رومى لــبعض ثقيف ، وبطش به أخذه بالعنف والسطوة

كأبطشه ، والبطش : الأخذ الشديد فى كل شىء والبأس ، قاله صاحب القاموس .

المعنى الجملى :

بعد أن ذكر حال كفار قريش إذ قابلوا الرحمة بالكفران ولم ينتفعوا بالمنزل ولا بالمنزل عليه أردف هذا أن أمر نبيه بالانتظار حتى يحل بهم بأسه ، لأنهم أهل الخذلان والعذاب ، لا أهل الكرم والغفران .

وفى هذه تسلية لرسوله – صلى الله عليه وسلم – وتهديد للمشركين .

ثم حكى عنهم مقالهم فى شأن الرسول ، فتارة يقولون :إنه معلم ،وأخرى يقولون أنه مجنون ، ثم أوعدهم بأنه سينتقم منهم يوم البطشة الكبرى وهو يوم القيامة ، ويجازيهم بما قالوا وبما فعلوا ويأخذهم أخذ عزيز مقتدر .

الإيضاح:

« فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ »

اى فانتظر يوم يأتى الجدب والمجاعة التى تجعل الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان المنتشر فى الفضاء .

ومن خبرهذا ما رواه البخارى عن مسروق قال : إن قريشاً لما أبطأت عن الإسلام واستعصت على رسول الله –صلى الله عليه وسلم – دعا عليهم بسنين كسنى يوسف ،فأصابهم الجهد والجوع حتى أكلوا العظام والميتة ، وجعلوا يرفعون أبصارهم إلى السماء فلا يرون الا الدخان ، فأنزل الله تعالى :((فارتقب يوم تأتى السماء ......إلى أليم))

فـــآتوا النبى –صلى الله عليه وسلم – فقالوا : يا رسول الله : استسق الله تعالى ، فاستسقى لهم فسقوا ، فأنزل الله :

« تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾

فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى حالهم الأولى فأنزل الله :

يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ

فانتقم الله منهم يوم بدر .

« يَغْشَى النَّاسَ

هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾

أى يحيط بهم من كل جانب ، فيقولون : هذا عذاب مؤلم يقض المضاجع وينتهي إلى موت محقق إن دام.

ثم بين أنهم وعدوا الرسول أن يؤمنوا إذا كشف عنهم العذاب كما كان يحدث من قوم فرعون حين نزول الرجز بهم فقال :

« رَّبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ »

أى ربـــنا إنا سنؤمن إن كشفت عنا العذاب ، وهذه هى طبيعة البشر إذا هم وقعوا فى شدة أياً كانت-ان يعدوا بالتوبة والإقلاع عما هم فيه ، ولكن الـــنفوس الشريرة ، لا تتجه إلى فعل الخير ، ولا تفعل ما تتقرب به إلى ربها ، انتظاراً لمثوبته ، ورجاء فى غفرانه ورحمته.

روى أنه لما اشتد القحط بقريش مشى أبو سفيان إلى رسول الله – صـــلى الله عليه وسلم – وناشده الرحم وواعده إن دعا لهم وزال ما بهم أن يؤمنوا .

ثـــم نفى صدقهم فى الوعد وبين أن غرضهم كشف العذاب فحسب فقال:

﴿ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾

أى كيف يتذكرون ويتعظون ويفون بما وعدوا به من الإيمان حين يكشف عنهم العذاب ، وقد جاءهم الرسول بما هو كاف فى رجوعهم إلى الحـــق فلم يرجعوا بل قال بعضهم: إن القرآن إنما يعلمه له غلام رمى لـــبعض ثقيـــف ، وقال آخرون : إنه أصيب بخبل إذ تلقى إليه الجن هذه الكلمات حين يعرض له الغشى .

والخلاصة إن التوبة إما أن تكون بما ينال الناس من النوائب وإما أن تكـــون بمـــا يتضح لهم من الحقائق ، وهؤلاء قد اتضحت لهم وجوه الصـــواب فـــلم يفقهوا ، فأخذناهم بالعذاب ، ولكن كيف يرجعون به وقد ذكرناهم بالآيات وأريناهم الحقائق وهى أنجح أثراً من العقاب فلم يؤمنوا وقالوا ما قالوا.

ثـــم نـــبه إلى أنهم لا يوفون بعهدهم ، بل اذا زال الخوف نكصوا عـــلى أعقابهم ورجعـــوا سيـــرتهم الأولى وعضوا على الكفر بالنواجذ ، وساروا على طريق الآباء والأجداد فقال :

﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾﴾

أى إنا رافعوا هذا الضر النازل بهم بالخصب الذى نوجده لهم زمنا يسيرا وإنا لنعلم أنهم عائدون الى سيرتهم الأولى من تمسكهم بالكفر وترك الحق ورائهم ظهرياً ، لما فى طباعهم من الميل الى عبادة الأوثان وتقليد الآباء والأجداد .

ولما كان العذاب الأليم لم يؤثر ، والإصلاح بالعلم والإيمان لم يفد ، أمهلناهم الى يوم البطشة الكبرى حيث لا توبة بعدها فينتقم الله منهم ، وهذا ما عناه سبحانه بقوله :

﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ .

أى إننا يوم القيامة لنسلطن عليهم بأسنا وننتقمن منهم أشد الانتقام ، ولا يجدن شفيعاً ولا ولياً ولا نصيراً يمنع عنهم عقابنا ، فيندمن ، ولات ساعة ندم .

الأخلاق العملية

نصوص من القرآن

واجبات نحو الله

الإيمان بالله وبما انزل من حقائق

﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ ﴾

الطاعة المطلقة :

«وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَـٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾

تدبر آياته :

«وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ »

وتدبر صنعه :

«وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَـٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ

شكره على نعماته :

« وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ »

الرضا بقضائه :

«وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾»

التوكل عليه :

« فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

عدم اليأس من رحمته :

«يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾

أو الأمن من بأسه :

« أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَـٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾

تعليق كل فعل مستقبل بمشيئته :

« وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ »

الوفاء بعهد الله :

۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾

تجانب مجالسة الخائضين فى آيات الله :

« وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ »

عدم الإكثار من الحلف بالله :

«وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصۡلِحُواْ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٢٤﴾

أحترام اليمين متى حلف :

((واحفظوا أيمانكم)) .

دوام ذكر الله :

«وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾

تسبيحه وتكبيره :

«إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٨﴾ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُۚ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٩﴾

أداء الصلاة المفروضة :

«إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴿١٠٣﴾

«أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ﴿٧٨﴾

حج البيت (على الأقل مرة في العمر) :

« إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾

دعاء الله بين الخوف و الأمل :

« قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا ﴿٧٧﴾

ثانياً : البيئة الجامعية

٢ – أصول المنهج

و يتـلقف الشـيخ أمين الخولى فكرة الشيخ محمد عبده واذا كان الإمـام محمد عبده يجعل الهدف الأول من التفسير هو هداية البشر دينيا وخـلقيا واجـتماعياً وعـلمياً فإن أمين الخولى يجعل الهدف الأول من التفسـير الجـانب الأدبى فى النص القرآنى وتجىء من بعده الأغراض الأخرى ولقد حدد فى وضوح أصول هذا المنهج حدد أركانه على النحو التالى :

هدف التفسير عند الشيخ محمد عبده :

فى الـذى مضى من القول عن " ألوان التفسير " بيان للأغراض التى كان يقصد إليها المفسرون ، ويعنون بتحقيقها أكثر من غيرها ، وقد سمعنا الأستاذ الإمام رحمة الله ، ينقدهم فيما آثروا من أغراض ، ويرى أن الغـرض الأول و الأهـم فى التفسير ، أن يكون محققاً لهداية القرآن ورحمته مبيناً لحكمة التشريع فى العقائد والأخلاق ، والأحكام على الوجه الـذى يجـذب الأرواح ... الـخ فالمقصد الحقيقى عنده : هو الأهتداء بالقرآن وهو مقصد جليل ولا شك ... يحتاج المسلمون إلى تحقيقه .

مخالفة الشيخ أمين الخولى لمحمد عبده فالقرآن كتاب العربية الأدبى الأكبر :

وذلـك المقصد الأسبق و الغرض الأبعد هو النظر فى القرآن من حيـث هـو كتاب العربية الأكبر ، وأثرها الأدبى الأعظم ، فهو الكتاب الـذى أخـلد العربية ، وحمى كيانها وخلد معها ، فصار فخرها ، وزينة تـراثها ، وتـلك صفة للقرآن يعرفها العربى مهما يختلف به الدين ، أو يفـترق به الهوى ، ما دام شاعراً بعربيته ، مدركاً أن العروبة أصله فى

الناس وجنسه بين الأجناس وسواء بعد ذلك أكان العربى مسيحياً أو وثنياً أو كان طبيعياً دهرياً ، لا دينياً أم إذا كان المسلم المحنف ، فإنه سيعرف بعروبته منزلته فى هذا الكتاب فى العربية ، ومكانته فى اللغة ، دون أن يقــوم ذلك على شىء من الإيمان بصفة دينية للكتاب ، أو تصديق خاص بعقيــدة فيــه .. وليس هذا الحس العربى فحسب . بل إن الشعوب التى ليست عربية الدم أصلا ، ولكن وصلها التاريخ وسير الحياة بهذه العروبة

فارتضــت الإسلام ديناً أو خالطت العرب فساطت دماءها بدمائهم ؛ ثم اتخــذت العــربية أصلاً من أصول حياتها الأدبية. حتى ربطها بالعربية هــذه الأواصــر الوثقى، الى أن صارت العربية عنصراً أساسياً، وجانباً جوهــرياً مــن شخصيتها اللغوية الفنية ، قد صار لكتاب العربية الأعظم وقرآنها الأكرم مكانته بين ما تعنيه ، من دراسة أدبية وآثار فنية قولية

الدرس الأدبى للقرآن للمسلم وغير المسلم :

فالعربى القح . من ربطته بالعربية تلك الروابط ، يقرأ هذا الكتاب الجــليل ، ويدرســه درساً أدبياً ، كما تدرس الأمم المختلفة عيون آداب الــلغات المختــلفة .ولتلك الدراسة الأدبية أثر عظيم كهذا القرآن هى ما يجب أن يقوم به الدارسون أولا ، وفاء بحق هذا الكتاب ، ولو لم يقصدوا الإهتداء به ، أو الأنتفاع بما حوى وشمل . **الأغراض الأخرى فى القرآن تجئ بعد درسه الأدبى :**

وهــذا الدرس الأدبى للقرآن فى ذلك المستوى الفنى ، دون نظر الى أى اعتــبار ،هو ما نعتده وتعتده معنا الأمم العربية أصلاً و العربية أختلاطا ، مقصداً أول ، وغرضنا أبعدْ يجب أن يسبق كل غرض ويتقدم كــل مقصــد ... ثــم لكل ذى غرض أو صاحب مقصد بعد الوفاء بهذا

الــدرس الأدبى أن يعمد الى ذلك الكتاب ، فيأخذ منه ما يشاء ، ويقتبس منه ما يريد ، ويرجع اليه فيما أحب من تشريع ، او اعتقاد ، أو أخلاق ، أو إصـــلاح اجتماعى ، او غير ذلك ... وليس شيء من هذه الأغراض الــثانية يتحقق على وجهه إلا حين يعتمد على تلك الدراسة الأدبية لكتاب العــربية الأوحد، دراسة صحيحة، كاملة ، مفهمة له ، وهذه الدراسة هى مـــا نسميه اليوم تفسيراً . لأنه لا يمكن بيان غرض القرآن ولا فهم معناه الإ بها .

ترتيب الموضوعات فى القرآن .

والقــرآن – كمـــا هو المعروف – لم يرتب على الموضوعات و المســـائل ، فيفــرد لكل شيء منها بيان أو فصل ، يجمع ما ورد فيه عن هذا الموضوع أو تلك المسألة ، فليس على ترتيب كتب العقائد مع ما فيه مـــن أصـــول العقيــدة ، وليس على ترتيب كتب التشريع مع ما فيه من أصـــول التشريع ، ولا هو كذلك على نسق كتب الأخلاق ، أو التاريخ ، ولا القصص ولا غير ذلك .. بل ليس على ترتيب بعض كتب الدين التى افــردت أحـــداث الحيـــاة بأسفار عنونت كل سفر منها بحادث ، أو حين جـــرت على تسلسل حياة فرد خصت كل حين منها بقسم ، كما لم يرتب شـــيء مـــن تاريخ ظهور آياته .. إنما جرى القرآن على غير هذا كله ، فعـــرض لكثير من الموضوعات ، و لم يجمع منها واحداً بعينه . فيلتقى أوـــله بآخـــره ، ويعثر به فى مكان معين .. وإنما نثر ذلك كله نثراً ، و فـــرقه تفـــريقاً ، فـــالحكم التشـــريعى فى أكثر من موضوع ، والأصل الاعـــتقادى قـــد عـــرض له غيـــر مرة ، والقصة قد وزعت مناظرها ومشـــاهدها فى جمـــلة أماكن ، وهكذا تقرأ فى السورة الواحدة فنوناً من

القول ، وتمر بألوان من الأغراض المختلفة ، تعرض لها سورة أخرى ، فيتكامل الغرضان ، تتم الفكرة بتتبعها فى مواطن متعددة ، وذلك لحكمة ومرمى يتبين فى غير هذا المكان من الدراسة القرآنية ، التى تعرض للكلام فى الترتيب .

مفسر اليوم يتعقب آيات الموضوع الواحد فى سور القرآن كله:

وإنما ننظر إلى ما لهذا الواقع من أثر فى طريقة تناول القرآن بالتفسير . وتتبعه لفهم معانيه وأغراضه ، فيبدو للناظر أن تفسيره سوراً وأجزاء لا يمكن من الفهم الدقيق والإدراك الصحيح ، لمعانيه وأغراضه ،إلا إن وقف المفسر عند الموضوع يستكمله فى القرآن ، ويستقصيه إحصاء ، فيرد أوله إلى آخره ، ويفهم لاحقه بسابقه ... فالناظر فى سورة البقرة مثلاً يجد من الحديث عن المؤمنين وحالهم ما أحسب أنه يفهم الفهم الصحيح ، إذا ما قورن فى سورة المؤمنون ، من الجزء الثامن عشر –ثم هو واجد فى هذه البقرة عن المنافقين وحالهم ما لن يفهم على وجهه إلا مع سورة " المنافقون " فى الجزء الثامن والعشرون ..وقصة آدم فى البقرة ، إنما يفسر مع ما ورد عنها فى الأعراف، والحجر، والكهف، وغيرها .

وانت –أرشدك الله– مقدر أن الذى يفهم جملة نصوص خاصة بموضوع واحد ، إنما يصل إلى صحيح معناها الدقيق ، بمعرفة سابقها ولاحقها ، متقدمها ومتأخرها ، إذا ما كان الزمن قد تباعد بين تلك النصوص ، وبخاصة مثل هذا التباعد الزمنى ، الذى بين آى القران ، فقد طال سنين وسنين ...

ثم هذا المتفهم محتاج إلى إدراك الملابسات ، والمناسبات ، والأسباب التى أحاطت بما يفهمه من النصوص ، إذ هى أضواء لابد منها لاستجلاء المعنى.

وترتيب القرآن لم يرع شيئاً من تقدم الزمن وتأخره ، فمكيه يتخلل مدنيه ويحيط به ، ومدنيه يتخلل مكيه ويحيط به ، وهكذا نرى من النظر فى ترتيب القرآن على سوره – أى ترتيب كلى فى المصاحف المختلفة – ما لا يساير حاجات مفسره المتفهم له ، بل يقضى ما كان من أمر الترتيب ، بالنظر الجديد التتبع الخاص ، لآى الموضوع الواحد ، بحيث يكشف هذا التتبع لنا عن تلك النواحى ، التى عرفت أن المفسر المتفهم مضطر إلى مراعاتها وتدبرها ، توصلا إلى الفهم الصحيح ، والمعنى الدقيق .

فجملة القول ، أن ترتيب القرآن فى المصحف قد ترك وحدة الموضوع لم يلتزمها مطلقاً ، وقد ترك الترتيب الزمنى لظهور الآيات لم يحتفظ به أبداً ، وقد فرق الحديث عن الشئ الواحد فى سياقات متعددة ، ومقامات مختلفة ، ظهرت فى ظروف مختلفة .

مراعاة الترتيب الزمنى والمناسبات والملابسات :

وذلك كله يقضى فى وضوح بأن يفسر القرآن موضوعاً موضوعاً وأن تجمع آيه الخاصة بالموضوع الواحد ، جمعاً إحصائياً مستقصياً ، ويعرف ترتيبها الزمنى ، ومناسبتها وملابستها الحافة بها ، ثم ينظر فيها بعد ذلك لتفسر وتفهم ، فيكون ذلك التفسير أهدى إلى المعنى وأوثق فى تحديده...

لا يمـــنع أميــن الخولى من بيان الوحدة الموضوعية فى السورة الواحـــدة لكـــن ذلك لحصر الفراغ من التفسير الموضوعى فى القرآن . فصواب الرأى – أن يفسر القرآن موضوعاً موضوعاً ، لا أن يفسر على ترتيبه فى المصحف الكريم ، سوراً أو قطعاً .. ثم إن كانت للمفسر نظرة فى وحـــدة السورة وتناسب آيها ، واطرد سياقها فلعل ذلك إنما يكون بعد التفسير المستوفى للموضوعات المختلفة فيها .

القرآن نص أدبى يدرس ما حوله ويدرس نـــصه:

فعـــلى هـــذا الأساس يكون منهج التفسير الأدبى إذن صنفين من الدراسة ، كما هى الخطة المثلى فى درس النص الأدبى وهذان الصنفان هما :

أ– دراسة ما حول القرآن　　　　ب – دراسة فى القرآن .

فأمـــا دراسة ما حول القرآن ، فمنها دراسة خاصة قريبة إلى القرآن .. ومـــنها دراسة عامة بعيدة عنه ، فيما يبدو من ظاهر الرأى ، ولكنها فى تقدير المنهج الأدبى لازمة لفهم القرآن فهماً سليماً دقيقاً .

والدراسة الخاصة هى ما لابد من معرفته ، مما حول كتاب جليل كهذا الكتاب : ظهر فى زهاء عشرين عاماً أو كذا وعشرين عاماً ..، ثم ظل مفرقاً سنين حتى جمع فى أدوار مختلفة .. وكان جمعه وكتابته عملاً ساير الزمن طويلاً ،وناله من ذلك ما ناله .. ثم هناك قراءته ، ومسايرة هـــذه القـــراءة لـــتطور اللغوى ، الذى تعرضت له اللغة العربية ، بفعل النهضـــة الجادة التى أثارتها الدعوة الإسلامية ، والدولة الإسلامية ..فقد كانت هذه القراءات عملاً ذا أثر واضح فى حياة الكاتب وفهمه.

فتـــلك الأبحاث من نزول ، وجمع ، وقراءة ، وما اليها هى التى عـــرفت اصـــطلاحياً ، مـــنذ حوالى القرن السادس الهجرى ، باسم علم القـــرآن بعد ما تناولها المفسرون المختلفون ، قبل ذلك بالبحث المجمل ، والـــبيان المتفاوت في الاستيفاء ، حسب عناية المفسر واهتمامه ؛ ومثل تلك الأبحاث جد لازمةّ، فى نظر دارس الآثار الأدبية.

وأمـــا مـــا **حول القرآن** ،من دراسة عامة ، فهو ما يتصل بالبيئة الماديـــة والمعنوية التى ظهر فيها القرآن وعاش،وفيها ، كتب وفيها قرئ وحفـــظ وخـــاطب أهـــلها أول من خاطب. وإليهم ألقى رسالته لينهضوا بأدائهـــا. وإبلاغهـــا شـــعوب الدنيـــا . فـــروح القـــرآن عربية ومزاجه عربى،وأســـلوبه عـــربى "قـــرآناً عربياً غير ذى عوج "..، والنفاذ إلى مقاصـــده إنمـــا يقوم على التمثل الكامل ، والاستشفاف التام لهذه الروح العربية ،وذلك المزاج العربى ومن هنا لزمت المعرفة الكاملة لهذه البيئة العربية المادية :ارضها بجبالها ،وحرارها، وصحاريها ؛وسمائها بسحبها ونجومها وأنوائها ؛وجوها، بحره ، وبرده،وعواصفه،وأنسامه.. وطبيعتها ،بجدبها وخصبها وقحلها أو نمائها وشجرها...ألخ .

فكل ما يتصل بهذه الحياة المادية العربية ، وسائل ضرورية لفهم هذا القرآن العربى المبين...

البيئة العربية المادية المعنوية:

~~ومع هذا ما يتصل~~ بالبيئة المعنوية بكل ما تتسع له هذه الكلمة من ماضـــى سحيق ، وتاريخ معروف ، ونظام أسرة أو قبيلة ، وحكومة فى أى درجة كانت ..

أو عقيــدة بأى لون تلونت .. وفنون مهما تتنوع .. وأعمال مهما تختلف وتتشــعب، فكل ما تقوم به الحياة الإنسانية لهذه العروبة وسائل ضرورية كذلك، لفهم هذا القرآن العربى المبين .

وإذا جهــدت الدراســة الأدبيــة فى أن تعــرف عن تلك العربية والعــروبة أكــثر وأعمق ، وأدق ما يعرف تبتغى بذلك درساً أدبياً درساً صــحيحاً ، فــأن هذا القرآن رأس هذا الأدب ، وقلبه الخافق،ولن يدرس درســاً أدبياً صادقاً،يفى بحاجة المتعرض لتفسيره الإ بعد أن تستكمل كل وســائط تــلك المعرفة للبيئة العربية مادية ، ومعنوية . أما ما دمنا نقرأ التشــبيه العــربى القــرآنى ، أو التمــثيل العربى القرآنى ، فإذا مادته الأضــــواء العــربية ، والظواهــر الجوية العربية ، والحى أو الجماد المشــهود فى بلاد العرب لا تعرف عنه شيئاً ، وليس عندنا عنه صورة خاصــة، فمــا يحق لنا مع هذا أن نقول إننا نفسر هذا القرآن ، أو نمهد لفهمه فهماً أدبياً يهيىء للانتفاع به فى نواحى أخرى .

ومــا دمــنا نذكر الحجر والأحقاف والأيكة ومدين ومواطن ثمود ومنازل عاد ونحن لا نعرف عن هذه الأماكن إلا تلك الإشارات الشاردة فمــا ينبغى أن نقول إننا فهمنا وصف القرآن لها ولأهلها ،أو، إننا أدركنا مــراد القــرآن من الحديث عنها وعنهم ،ثم لن تكون العبرة بهذا الحديث جليلة ، ولا ، حكمة ولا الهداية المرجوة مفيدة مؤثرة.

ولعلــه ليس بالكثير مطلقاً أن نطلب مثل تلك الدراسات المفصلة لبيــئة القرآن الذى هو أحدث الكتب السماوية عهداً ، ولغته التى بها نزل لا تــزال لغة حية تتكلمها مئات الملايين ، وأدبها غير واحد من الأمم ،

تدعى لنفسها حق الحياة ..ثم هى أصل كبير للهجات ولغات تقوم دراستها الصحيحة على دراسة هذه العربية...

ليس بالكثير فى شىء أن نطلب هذه الدراسة لبيئة القرآن وهذه حالتة لأن الكـتب الديـنية الأخرى أقدم من القرآن بالقرون المتطاولة ، وبيئتها قد غفت معالمها ، ولغتها قد تخلت عنها إذا خرجت من الحياة ، ولكننا نجد ما فى الكتب الدينية جميعها من حى ، وجماد ، وحادثة، وعلم ، قد أفرد بالدراسة، ووضعت له الكتب المطولة، والمعاجم المستوفاة حتى ما يفوت شـىء منها ما ينبغى معرفته ، وهذا كله على جانب الدراسات التاريخية والأدبية والدينية،والقانونية،والاجتماعية العميقة.. المقارنة ، التى اصابتها تـلك الكتب ..ولا أتحدث عن الترجمات والنشرات ، فتلك نواحى أخرى ليسـت الآن بموضـع حديثنا . ولكن بها تعظم المائمة فى هذا التقصير الدراسـى لكـتاب ، هو أجل وأقدم وأوثق ما عرفت العربية من آثارها الأدبية.

إجمال ما حول النص:

تلك إلمامة بما حول القرآن من دراسة وهى فى جملتها ترجع :-

-إما إلى تحقيق النص ، وضبطه ، وبيان تاريخ حياته....

-وإما إلى التعريف بالبيئة التى فيها ظهر ، وعنها تحدث ، وبين مغانيها ومعانيها تقلب ، وبد استيفاء ذلك يكون التقدم إلى:

دراسـة القرآن نفسـه:

وهى تبدأ بالنظر فى المفردات ، والمأتب يجب أن يقدر عند ذلك تـدرج دلالـة الألفـاظ ، وأثرها فى هذا التدرج بتفاوت ما بين الأجيال وبفعـل الظواهر النفسية والاجتماعية ؛ وعوامل حضارة الأمة ، وما إلى

ذلك مما تعرضت له ألفاظ العربية ، وفى تلك الحركة الجياشة المتوثبة التى نمت بها الدولة الإسلامية ، والنهضة الدينية ، والسياسية ، والثقافية التى خلفت هذا الميراث الكبير من الحضارة ، وقد تداولت هذه اللغة العربية في تلك النهضات أفواه أمم مختلفة الألوان والدماء ، والماضى ، والحاضر ، فتهيأت من كل ذلك خطوات تدريجية فسيحة متباعدة في حياة ألفاظ اللغة العربية ، حتى أصبح من الخطأ المبين أن يعمد متأدب إلى فهم ألفاظ هذا النص القرآنى الجليل فهما لا يقوم على التقدير التام لهذا التدرج والتغير ، الذى مس حياة الألفاظ ودلالتها ، وعلى التنبه على أنه إما يريد ليفهم هذه الألفاظ ، فى الوقت الذى ظهرت فيه ، وتليت أول ما تليت ، على من حول تاليها الأول عليه السلام - وهذا هو أحد لا ينكر أن خلود هذا الكتاب ورياضته الدائمة للحياة مع صلته الوثقى بها .

كل ذلك يهيء لفهم معان متجددة أو نيابية . مع عدم إنكار هذا القدر نرى أنه لا ينبغى أن نسيب إلى القرآن من هذه المعانى إلا ما كان طريق فهمه الحس اللغوى للعربية ، وسبيل الانتقال إليه هو دلالة اللفظة الأولى في عصر نزول القرآن ... وبيان هذا والتمثيل له مما لا يتسع له المقام هنا .

قدر معاجمنا اللغوية .

وإذا كان هذا هو الأصل الأول فى فهم دلالة القرآن ، فمن لنا به مع أن معاجمنا لا تسعف عليه ولا تعين . فأكبر ما نملكه منها وهو "لسان العرب " لابن منظور المصرى ، قد كتب على طريقة المقص والغراء ، كما يقول العصريون، فتجاوزت فيه نصوص تباعدت عصر أصحابها ، فابن دريد فى أوائل القرن الرابع الهجرى(٣٣١هـ) ،

يجاور بن الأثير فى اوائل القرن السابع الهجرى (٦٠٦م) ونماذج لغويات الأول ، دينيات الثانى ... والقاموس المحيط كما نعرفه عصارات غير ممتزجة لثقافات متغايرة متباينة ، من فلسفية عقلية إلى طبية عملية ، فأدبية لغوية ، فدينية اعتقادية ، أو غيرها ..معاجمنا لا تسعف على شىء من تحقيق هذا الأصل الثابت فى تدرج الألفاظ ، فليس أمام مفسر القرآن حين يبتغى المعنى الأول لألفاظه إلا أن يقوم بعمل فى ذلك ، مهما يكن مؤقتاً وقاصراً

فإنه هو كل ما يمكن اليوم ، وإلى أن نملك قاموساً اشتقاقياً ، تتدرج فيه دلالات الألفاظ ،وتتمايز فيه المعانى اللغوية على ترتيبها ، عن المعانى الاصطلاحية على ظهورها ..فلا معدى للمفسر من النظر فى المادة اللغوية للفظ الذى يريد تفسيره لينحى فيه المعانى اللغوية للمادة نظرة ترتيبها على الظن الغالب ، فتقدم الأسبق الأقدم منها على السابق ، حتى يطمئن ما استطاع – إلى شىء فى ذلك ينهى منه إلى ترجيح معنى للكلمة، كان هو المعروف حين سمعتها العرب فى آى الكتاب .. فى هذا التميز والنظر ملم – ما أمكن – بمحدث الدراسة فى أنساب اللغات ، وصلة ما بينها ، ليطمئن كذلك إلى الكلمة عربية أصيلة أو هى دخيلة ، وإن كانت فما بيئتها ؟ وما معنها الأول ؟ ..ثم هو محاذر كذلك من اندفاع معاجمنا فى رد الكلمات إلى أصل ، عربى يشابهها فى اللفظ ، مع الاشتقاق والربط ..

تتبع المعنى الاستعمالى فى القرآن:

وإذا ما فرغ من البحث فى معنى اللفظة اللغوى ، انتقل بعده إلى معناها الاستعمالى فى القرآن ، يتتبع ورودها فيه كله ، لينظر فى ذلك ،

فيخـــرج منه برأى عن استعمالها : هل كانت له وحدة اطردت في عصر القـــرآن المختـــلفة ومناســـباته المتغيرة ؟ وإن لم يكن الأمـــر كذلك ، فما معانيها المتعددة التى استعملها القرآن ؟ وبذا يهتدى بمعناها ، أو معانيها الـــلغوية إلى معناها ، أو معانيها الاستعمالية فى القرآن ، وهو ما ينتهى إليـــه مـــن كل أولئك يفسرها مطمئنا ، فى موضعها من الآية التى جاءت فيها .

محـــاولة الـــراغـــب الأصفهانى:

وقـــد حـــاول الراغب الأصفهانى منذ قرب ألف عام ، أن يعطينا مفردات القرآن فى قاموس خاص بها ، وعانى فيها شبيهاً بما وصفنا أو بشىء من أصل فكرته : ولكنه لم يتم التعقب اللغوى ، ولم يستوف التتبع القـــرآنى ، وفاتـــه مع ذلك كله فرق ما بين عصره وعصرنا فى دراسة الـــلغات وصلاتها ، إلى أنه فى كل حال نواة تخجل من بعده ، وبخاصة أهـــل هـــذا العصر الطموح ، فيؤلمهم ألا يملكوا إلا هذا المعجم القرآنى الناقص ، بل البدائى ..

وبالـــتزام هـــذا المنهج الأدبى يرجى كمال هذا المعجم ، ومعاجم أخرى تتطلبها حياة القرآن كتاب العربية الأعظم .

النظرة الأدبية فى القرآن" المركبات " :

ثم بعد المفردات يكون نظر المفسر الأدبى فى المركبات :

وهو فى ذلك – ولا مرية مستعين بالعلوم الأدبية من نحو وبلاغة .. الخ؛

ولكـــن لا على أن الصنعة اللغوية عمل مقصود لذاته ، ولا التفسير كما كـــان الحـــال قديماً . بل على أنها أداة من أدوات بيان المعنى وتحديده ،

والــنظر فى اتفــاق معــانى القراءات المختلفة للآيات الواحدة ، والتقاء الاستعمالات المتماثلة فى القرآن كله .

ثــم عــلى أن النظرة البلاغية فى هذه المرئيات هى تلك النظرة الوصفية التى تعني بتطبيق اصطلاح بلاغى بعينه ، وترجيح ان ما الآية كذا لا كذا . أو إدراج الآية فى قسم من الأقسام البلاغية دون قسم آخر – كــلا ، بــل أن الــنظرة الــبلاغية الأدبية التى تتمثل الجمال القولى فى الأسلوب القرآني ، وتستبين معارف هذا الجمال ، وتستجلى قسماته ، فى ذوق بــارع ، قد استشف خصائص التراكيب العربية . منضما الى ذلك الــتأملات العميقــة فى الــتركيب و الأســاليب القرآنية لمعرفة مزاياها الخاصــة بهــا بيــن آثــار العــربية ، بل لمعرفة فنون القول القرأنى وموضوعاته فناً فناً ، وموضوعاً ، معرفة تبين خصائص القرآن فى كل فن منها ومزاياه التى تجاور جماله .

التفسير النفسى :

الجانب الوجدانى فى التفسير النفسى .

لأن ما استقر من تقدير صلة البلاغة بعلم النفــس قد مهد السبيل إلى القــول بالإعجــاز النفسي للقرآن ، كما كشف عن وجه الحاجة إلى تفسير نفسانى للقرآن يقوم على الإحاطة المستطاعة ، بما عرف العلم من أســرار حركات النفس البشرية ، في الميادين التى تناولتها دعاوة القرآن الدينية وجدله الاعتقادي ، ورياضتة للوجدانات والقلوب ، واستلاله لقديم ما أطمأنت إليه ، وتوارثته عن الأسلاف والأجيال؛ وتزينها بما دعا إليه من إيمان ينقض مبرم هذا القديم ويهدم أصوله...

وكيف تلطف القرآن لذلك كله ، وماذا استخدم من حقائق نفسية ، فى هذا المطالب الوجدانية ، والمرامى القلبية ؟ وما اجدت رعاية ذلك كله ، فى انجاح الدعوة وإعلاء الكلمة ؟

فالتفسير النفسى يقوم على أساس وطيد من صلة الفن القولى بالنفس الإنسانية ، وأن الفنون على اختلافها – ومن بينها الأدب – ليست إلا ترجمة لما تجده النفس ... وقد ألممنا بذلك فى الدراسة البلاغية الفنية .... ولا نقول الآن اكثر من أن اللمحة النفسية فى المعنى القرآنى ، ربما تكون أحسم لخلاف بعيد الغور ، كثير الشغب بين المفسرين ، قد تأولوا البراهين النظرية ، والأقيسة المنطقية ، وتلاقوا فيه بصنوف الأعازيب ، ومعقد الصناعة النحوية ، البعيدة عن روح الفن ، او بالمحاولات البيانية الجافة إلى النظرات السوفسطائية المسفة ..

وانظر على سبيل المثال تفسير الآيات ١٩٣- ١٩٥ من سورة الشعراء فى الفخر الرازى ٦: ٥١٤ -٥٤٣ طبولاق – وقابلة بالتفسير الزمخشرى لهذه الآيات – كشاف ٢-١٣٢ طبولاق – فى الفرق بين الصنفين وكيف كانت نظرة الزمخشرى النفسية فيصلا حاسماً فى الموضوع ...

فالملاحظة النفسية حين تعلل نسج الآية وصياغتها ؛ وتعرف بجو الآية ، وعالمها ، ترفع المعنى الذى يفهم منها إلى افق باهر السناء ؛ وبدون هذه الملاحظة يريد المعنى ضئيلا شاذجاً ، لا تكاد النفس تطمئن إليه ، ولا هو خليق بأن تكون من مقاصد القرآن .

ويشرح ويطبق الشيخ أمين الخولى اصول منهجه فيما أذاعه بالإذاعة من أحاديث تحس من هدى القرآن وقد طبعت فى كتاب يحمل هذا الاسم فيما يلى بيان بما شرح.

أهـداف الـقرآن

أ – مراميه الاجتماعية

ب – رياضته للنفس الإنسانية

حديث الشيخ أمين عن نفسه وموقفه من تدريس القرآن فى الجامعة :

وعـاودوا الكـلام – فى إصـرار – عـن إذاعة أحاديث القرآن فشرطت لذلك أن لا أقول إلا ما يجب أن يقوله رجل أمضى دهراً طويلاً يـدرس القرآن فى كلية الآداب بالجامعة على أنه كتاب العربية الأكـبر وتاج ادبها العالى ، ويلتمس المناهج المحررة للتفسير الأدبى .

النظرة الأدبية للقرآن .

هـذه الأحـاديث قبسـات من نتائج الدراسة الأدبية الفنية للقرآن معجـزة العزبية البلاغية والأصل الأكبر لدعوة الإسلام ..دراسة تحاول عـرض الهدى القرآنى فى تفسير الحياة وتدبيزها ذلك التدبير الذى حفظ لنفسه صفة العموم والدوام ، وختم رسالات السماء إلى هذه الأرض .

بحث موضوعات ذات وحدة واتساع :

مجموعـات مختـلفة مـن الأبحاث المحدودة المميزة : كالسلام ..والإسلام والقرآن والحياة والقادة ..الرسل ، والطغيان فى العلم والمال والحكم بما أنزل الله والفن البيانى فى القرآن والقسم القرآنى ، وشخصية محمد ، وعبادات كالصوم والحج ، وغير ذلك من موضوعات ذات وحدة وإرتساق .

التفسير الأدبى :

التفسير الأدبى عندى هو الذى يجب أن يتقدم كل محاولة لمعرفة شىء من فقه القرآن ، أو أخلاق القرآن ، أو عبادات الإسلام ومعاملاته فى القرآن ، ويتميز هذا المنهج للتفسير الأدبى بقسمات ومعارف خاصة.

سمات التفسير الأدبى من خلال أحاديث أمين الخولى :

١- القصد إلى التدبير النفسى والاجتماعى فى القرآن للحياة الإنسانية وتذرى

أن هذا هو المجال الخاص للقرآن وهو السبيل المفردة لتحقيق أهداف الرسالة الإسلامية وتأثيرها على الحياة ... أما ما وراء ذلك من علم طبيعى أو رياضى أو حقائق فلسفية أو كونية فلا تؤمن من هذه الأحاديث بأن القرآن يقصد الى شىءاتجاهات منها

٢- أنه تعتمد إلى معانى الآيات القرآنية التى تؤديها ألفاظها العربية المبينة كما كان يفهمها أهل العربية فى عهد نزول القرآن ولا تجاوز ذلك فتحمل ألفاظ القرآن شيئاً من المعانى الباطنية أو الأشارية ، أو التأويلات المذهبية أو الصناعات التى تنشط لها علوم العربية من نحو منطقة بعيدة عن الأجواء الفنية الى ما وراء ذلك من اتجاهات لعلها قد استهلكت جهود رجال كثيرين خلال أجيال طويلة وملأت صفحات مجلدات كثيرة لا نملك إلا أن نلتمس لأصحابها المغفرة لما أسدلوا من حجب على البيان القرآنى المعجز ، وما أقاموا من عقبات فى سبيل الوصول الى أغراضه الحيوية ومعانيه الإجتماعية النفسية وإذا ما قصدت هذه الأحاديث (من هدى القرآن) الى معانى ألفاظه العربية فما

تجاوز ذلك أبداً إلا الى التماس ما للفظ و النظم من إيجاءات أدبية فـنية لصـوغ معجـز بلاغـته أجس ملوك الكلام من العرب، يحاربونـه، بـأقوى ما عرفوا من مصادر التأثير الوجدانى على الـنفس الأنسانية فهو مدة بسعر وإن لم تقطعة أوزان وتختمه قافية وهـو مدة سحر يأخذ على النفس أقطارها ، ويخيل اليها ما يشاء مـن أمـر والـتماس الإيحاءات الأدبية التى تنشر عبيرها بلاغة القـرآن إنما هو التتمة الطبيعية لفهم ألفاظ العربية ونظمه الرائع دون انحراف عن قصد الأمم فى فهمه إلى شئ مما أشيرالى الجد فيه العناية به قديماً لأسباب وأهداف ليس هنا المجال لبيانها .

٣-أن هـذه الأحـاديث تـتجه كما هو باد مما ذكر من موضوعاتها المحـدودة الى تفسـير القرآن موضوعات الأسوار ، وأجزاء ، وقطعاً متصلة على ضرب من الترتيب .. بل هى تتبع ما يخص موضوعها من آيات فى مختلف السور والأجزاء القرآنية. كما هو معـروف – يعين على ذلك ويؤيدة وتلك قضية أخرى من قضايا التفسير الأدبى نشير اليها ولا نخوض فيها هنا إذ ليس ذاك مجالها وهـذه هى الخطـوط الكـبرى لصورة هذا التفسير الأدبى التى انعكسـت عـلى صفـحة تـلك الأحاديث لكانت له تطبيقاً علمياً واستجابة أدبية منهجية.

غاية القرآن الفن للمجتمع :

فإذا لما قال قائلون : إن الفن لا يلزم الفضيلة موضوعاً وان الفن يـرجى لـلفن وحده ، فإن لا نأخذ هنا بهذا الإتجاه ولا نحسب القرآن قد أخـذ بـه ، لأنه يجعل فنه القولى وسيلة لإصلاح الحياة البشرية ، ذلك

الإصــلاح الخــلقى الإجــتماعى العــام الذى أنزل من أجلة هدى الناس ورحمة، يهدى للتى هى أقوم ، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً .

غاية الفن القرآنى بشمولية النظرة :

إنــنا نــرمى من وراء ذلك كله الى الإرتياض ، و الدعوة للأخذ بالنظرة الشاملة والفكرة الجامعة فى تفسير هذا القرآن راجين أن يتمسك بهــا أصحــحاب القــول فى تفسيره اليوم فيتتبعوا استعماله ، فى المواطن المتــباعدة ، والمناسبات المتغايرة ليستشفوا من وراء ذلك نظراته البعيدة فى نظمه ، وصوغه ، ولا يكتفوا بالنظرة الجزئية ، ولا يهدى الى دقائق مراميه الإصلاحية الكبرى .

القادة الرسل

« ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾

فى هذه الأيام التى تتكشف فيها الإنسانية عن أروع ما تستطيع من بطولة ،، وأنبل ما تطيق من تضحية ،، والتى تقاس فيها حيوية الأمم بما يبذل أفرادها من انفسهم ، وما يعطون من أرواحهم ، والتى تقسم فيها حظوظ الشعوب من البقاء والنجاح بقدر ما يمنحها شبانها من دمائهم وأعصابهم .

فى هذه الأيام التى تكتب فيها النجاة للملايين بوقفة فردية كريمة ، أو يقظة نفسية لشخص ، أو اثبات أعصاب رجل ، أو نظرة عين مسددة .. فى هذه الأيام تستخرج الحرب خير ما فى النفوس الإنسانية من معنى الغيرية والإيثار ، وتمتحن الحرب – مهما يكن هدفها ومرماها – متانة الأمة ، وسلامة بنائها ، بسلامة نفوس افرادها ، وقوة ارواحهم ..

فى هذه الأيام وتلك الظروف ، يحسن أن نتجه بالحديث عن (هدى القرآن) الى تبعات الحياة الناهضة ، وحاجة الأمم المجاهدة ، وفى القرآن عنها الممتع المسعد ... لقد اتجه الحديث الى الرسل ، فتناول بشريتهم وإمعان القرآن فى تقريرها ، وتمسكه بها ، وجليل ما تستطيع هذه البشرية أن تضمنه ، حين تصفو وتشف ، وتسلم وتصح .. فتهدى الى تخير الغايات الكريمة ، وتبين سبيل الوصول اليها، والطريق لتحقيقها ، ثم لايزال فى حديث القرآن عن الرسل مجال من أى

مجال الهدى كريم ، فى تكوين الرجال وتقويمهم ،لتتم على ايديهم جلائل الأعمال ، وعظائم الآثار، كما أتم أولئك الرسل ، تأسيس الأديان ،وتمدين الأم وإقامة الدول .

أيها الطامعون فى الحياة الكريمة :

إن دولة قد غلبت اليوم بعد غلب ونصر قديم ، وزلت بها القدم ، بعد تسديد وثبات ، فلما ذهب رجالها يعتبرون بما اصابهم ، ويتلمسون وسائل النهوض من كبوتهم ، سمعنا وزير التربية فيها يقول لشبيبتها : " إن فرنسا ينقصها رؤساء ورجال وعليكم ان تمدوها بهم " . تلك حاجة الأمة فى هزيمة طارئة ، وهذا هو الشرق ، قد انقطع حاضره غيرالمرضى ، عن ماضيه القوى ، وقد استبهم مستقبله ، واضطرب مكانه فى الحياه ، ولم تستقر له قدم بين اصحاب الشأن فيها ، فكم ذا ينقصه ، من رؤساء ورجال ، عليكم ياشبانه أن تمدوه بها .

إن لهذا الشرق تجارب اجتماعية قديمة مكررة فى خلق القادة والرجال وإعدادهم فهاهم أولاً ، رسله وهو مهبطهم ، قد أقاموا أدياناً وتحكموا – وما زالوا – يتحكمون حتى اليوم فى عقول الدنيا وقلوبها ، هم الذين خطوا بالحضارة –كما يصف التاريخ – أوسع الخطوات وأخطرأها ، وقادوا العالم منذ عصور سحيقة فسددوا خطاه نحو النور ، وأبلغوه من التحضر شأواً بعيداً إذا اخذوا بأيدى أممهم الى حياة الإستقرار والرقى ، فحملت مصابيح المدنية ، وأقامت على الأرض دولاً عتيدة ، حكمت وأسست وجرت وتعلمت هكذا فعل نوح ، وموسى ، ومحمد ، وغيرهم من الأنبياء – عليهم السلام – وقد عرض القرآن

أخيــراً للحديث المتدبر من أمرهم جميعاً ، ولفت الى السنن المسيطرة ، على حياه هؤلاء الرسل القادة وأممهم ، فمن هدى القرآن يستطيع الشرق – لــو أراد واعــتزم – أن يلتمس انباء الرؤساء والرجال ، الذين يحتاج اليهــم اعــنف الحاجة وأقساها ، وحين يهتدى الشرق بهدى القرآن ، فى هذا ، فهو انما ينتفع بسابق تجاربه ، وإنما يتحدث القرآن الى قلوب أهله وعقولهــم ، التى اتصلت اتصالاً تاريخيا وثيقاً ، بما أسس أولئك الرسل فى بــلاده نفســها ، فــتكون تــلك القــلوب والعقــول اسرع استجابة وأكثراطمئــناناً ، لما تنبه اليه من غير ذلك .وأرجى مطاوعة ومسارعة بعد الذى رات من أحداث قاسية وأهوال كافية ..

يــا عقــولاً مفكرة ... إذا ما اشتركت كثرة من الناس فى شعور واحــد وتداعــت الى غرض متحد ، كانت لهم بذلك وحدة معنوية وصلة نفسية ، تؤثر فى حياه هذه الكثرة وتفكيرها حتى لو كان كل فرد منها فى مكــان أو تــناءت بأهلها الديار ، وتلك هى الجماعة النفسية التى يتولى الباحثون درس نواميس حياتها وقوانينها فيحدون دائماً ، عن هذه الجماعة يتصــدرها ويــتقد لقيادتهــا ، فــرد منها تؤهله لذلك شخصيته ونفوذه ، ولاتلبث هذه الجماعة أن تلقى اليه قيادها ، وتمنحه طاعتها ، لأنها تحتاج بفطــرتها البشرية الى ذلك ، وتسعى لتحقيقه لتجمع بها شملها ، وترضى حاجــة نفســها ... وفى تجمــع الجماعة وتصدر القائد اعتبارات نفسية نلحظها كاملة واضحة فى الرسول وامته ، وصلتها به ، ومنزلته منها .. فلــئن قــام وجود الجماعة على معنى روحى مشترك ، فإن أمة الرسول إنما تلتقى حول أصول دعوته ، وما جاءها به من أفكار ومبادىء ، يريد أن يحييهــا بهــا حيــاة جديــدة ، وبهذا تكون الواسطة المعنوية فى هذا

المجـتمع واضـحة متميزة عنها فى أى مجتمع آخر ، وإذا ما كان القائد إنمـا يتصدر جماعته لمعنى فى شخصيته واعتبار من نفوذه ، وقدره له عـلى تمثيل الفكرة التى يجتمعون حولها ، فالرسول فى أمته هو مصدر ابـلاغ الفكـرة وطريق تلقيها وفهمها ... وتجد هذه المعانى واضحة فى إشـارات القرآن الى احوال الرسل ومنزلتهم من قومهم ، فالرسل صفوة بشرية قادرة على ما اضطلعت به ...

۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾

«وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾

والرسول أقرب نفساً الى قومه وهم عنه أفهم :

«وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ

وهو منهم :

«كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ

هو من أنفسهم :

«لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾

. وهم قومه :

«لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ»

وهو أخوهم :

﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًاۗ

وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۗ»

وهكذا نرى المعنى النفسى فى تكوم أمة الرسول وفى صله بها ، واضـــحاً أتـــم الوضوح كاملاً أكثر ما يمكن الكمال باقياً أطول ما يكون البقاء ، والرسول بهذا هو الصورة المثالية للقائد فى جماعة .

أيها الشبان :

إنكـــم ســـتمدون هذا الشرق بالرؤساء والرجال ، ما فى ذلـــك شك ، ولالكم منه مفر ، وإن مصايرالأمور لتدفعكم الى ذلك دفعاً ، فـــتعالوا احدثكـــم عـــن القادة الذين ارجوا أن تكونوهم ، أو أن تخلقوهم وتؤيدوهـــم لتمدوا به شرقكم ... أولئك هم القادة الرسل الذين فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر .

تعـــالوا احدثكم أولاً ، عن فرق مابين هؤلاء القادة الرسل ، وبين صنوف اخرى من القادة ، توجدهم حاجة الجماعة الفطرية الملحة ، الى مـــن تقدم ويتصدر صنوف أخرى من القادة ، يمكن لهم فى مراكزهم ، تعطـــش الجماعـــة الى من تطميه وتصدره ، وهم أضعف من أن يحملوا هذه الأمانة ، أو يحلوا هذه المنزلة السامية الخطيرة .

ياشباب .. إن القادة الرسل يمتازون بأنهم مصادر عقيدة ، ومنبع ايمان لامؤمنون أصحاب عقيدة فحسب . انهم هم الذين يعلمون الناس الإيمان ويمنحونه قلوبهم ، ويفيضونه على ارواحهم ، هم الذين يروضون الناس على جعل كل شيء في الدنيا وراء المعتقد ، وأهون منه وأرخص كما يسمع من القرآن :

« قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾

وإن كان القادة الرسل هم الذين يسعفون الناس بهذا الإيمان فإن كماله فيانفسهم ، ليمكنهم من السيطرة على قلوب أممهم ، والإستيلاء على نفوس جماعتهم فيدفعونها دفعاً متوثباً الى أبعد الأهداف وأمتع الغايات ، وعلى قدر اعتقادهم تكون قوة تأثيرهم ، ووقع اقوالهم ، وبمقدار تشعبهم بأفكارهم ، وتملكها لنفوسهم يستطيعون توليد القوة الهائلة في النفوس ، والإجتذاب الخاطف للأرواح ، والإختلاب الساحر للعقول ، فيخلقون من الجماعات – مهما تكن درجة قوتها المادية أكبر من قوة سيرت [illegible] التاريخ ، ودفعت بالحضارة قدماً .

شأن القادة الرسل ، اما القادة الذين يخلقهم الحاجة ، ويمكن لهم جنوح الجماعة الى المسيطر ، فهؤلاء مقفرة قلوبهم من روح العقيدة وقوة الإيمان ، فلابد لهم بقوة هذا المعين الروحي الطاهر ، وإنما

يستمدون مالهم من قوى نسبية ، من خلابة الأقوال الطنانة ، واستهواء الألفاظ الخادعة ألا سقطة العبادات الفارغة ، يمسون لها نواحى ضعف بشرية ، لاحدود لها ولاثبات فيها ، حين يمس القادة الرسل أوتار النفوس، ويسلطون قوة إيمانهم على من حولهم فيمسون شغاف قوبهم ويحيلونهم إنساً لايألمون ولايهنون ولايتهنون .

ياشباب القادة الرسل ، إنما يتحدثون من أممهم الى عناصر طاهرة ، يتحدثون الى أكرم من فى جماعتهم من نفوس تداعت إيمان وألفت بينها عقيدة، وثيقة العروة لاينفصم لها رباط ، اما قادة الحاجة ، فإنما يتحدثون الى اصحاب أهواء تافهة وطلاب حطام هين ، فيعمدون الى اثارة المشاعر المنحطة فيهم ، ويقصدون الى اهاجة الأهواء المبتذلة يتملقون ضعفهم ويكسبون رضاهم الذى لاقوة فيه ، ولابقاء له ، وهكذا إذا ماكوُن القادة الرسل من مؤمنيهم أداة فعالة نافذة طويلة العمر ، خالدة، جمع قادة الحاجة طنيناً فارغاً وضجيجاً أجوف كاذباً ، وأفشل الأشياء أجهرها صوتاً ، والطبل الفارغ آلة الدوىُ المهرج ، فحينما نجد أن القادة الرسل والمؤمنين الضعاف مغهم هم دائماً أبداً القوة التى غيرت وجه الدنيا ، وحر الأكوان ترى أن هذه الكثرة الضاجة ، لاتقدم بل تؤخر ، فلا ثبات لقوتها الخادعة ولايدلها بفعل ، وليس وراءها أثر ، يعادل ما اضاعت من عمر ، وما جمعت من عدد .

ياشباب .. كيف أجدك الآن ، إذ تسمع الحديث عن القادة الرسل والقادة الزيوف ، وأثر العقيدة فى الأولين ، تزيد قوة تأثيرهم على جماعتهم المؤمنة التى تتضاعف قوتها بالإعتقاد عشرات أمثالها ، حترى لاتقهر ولاتصد وأثر فقرالقلوب فى الصنف الثانى من القادة ، فلا هو

بـــالغ فى قـــلوب جماعـــته الطامعة المنتفعة ، ولاهى واجدة من القوة ما يحـــدث أثـــراً أو يحقق أملاً .. أيخدعك وهم أيها الشباب ، فتحسب هذه القوة المعنوية أو الضعف المعنوى ضرباً من التزايد أو المبالغة !! وتظن المـــادة وحدها مصدر كل قوة ، وتحسب الأعزل أو الأضعف ماديا هو المغلوب لامحالة حين تتصارع الكثرة والسلاح ؟ أعيذك من أن تظن ذلك أو يطـــول وهمـــك فيه ، فتلك القوى المعنوية قد اثبتتها التجارب النفسية اثـــباتاً واضـــحاً عملياً ، لاقولاً نظرياً ، هذا أنت تشهد اليوم من تجاريب الحيـــاة ، دلائل هذا وآياته شاخصة مائلة فى هذه الحرب .. تشهدها فى غيـــر أمة ، وغيرموطن ... فرئيس قوى العقيدة ، وطيد الثقة يحدث أمه عـــن غد منتظر ، وأمل مرتقب ، حديث الشاهد التأكد المستوثق مما فى يـــده ، فيرى قومه ويسمعون ويثبتون ويقدمون ، وإن جاهرهم بأنهم أقل عـــتاداً ، وأنقص قوة ، وأحوج الى مدد من السلاح قد دبر أمره ، وأعد مصـــدره ... وهـــذه قلة محدودة العدد والمقدرة ، تعتز بنفسها ، فتصمد لكـــثرة موفـــورة ، وقـــوة مذخورة وتلقاها جريئة مقدمة فتغنم وتأسر ، وتنتصـــر ، وإذا الكـــثرة العدديـــة هـــباء ، تريد الفرار فيصبح عتادها وذخيـــرها عبئا عليه ثقيلاً ، يعوق الجرى ، ويعطل الهرب .. وتدع هذا وذاك الى الحيـــاة الفـــردية وتجاربك الشخصية ، فتجد فيها ما يغنيك من الدلائل والشواهد عن الحديث المعاد فى خطر القوة النفسية وأنها وحدها العمـــاد والسناد ... وليس أحد ياشباب الشرق أحوج منك الى استحضار تجـــارب التاريخ الطويلة ، وتجارب الدنيا الشاهدة ليطمئن اطمئناناً عميقاً الى هـــذه الحقيقة عن القوة القلبية فتؤمن بنفسك وقومك وتعرف أن هذه

القوة هى معقد الأمل ومناط الرجاء ، وأنك بها وحدها أولاً بالغ ما تريد، ظافر بما تعتزم ، متى صح عزمك، ومضت ارادتك .

ياشباب ...

إن القـــواد قـــد يوجـــدون فى الأمم دائماً توجدهم حاجتها اليهم ، ولكـــنهم ليسوا دائماً ولا غالباً القادة الرسل ، وفى الذى القيت اليك الآن بعـــض مـــا يفـــرق بين الصنفين فيقيك الخدعة ويجنبك الشبهة ، حينما يقتضـــيك الوطـــن حقه ، وتعمل إمداده بالقادة والرجال الذين يبنونه ... وفقت وأيدت ...

ثانياً : محمد أحمد خلف الله

من خلال الفن القصصى فى القرآن الكريم

محمد أحمد خلف الله

القــرآن الكــريم جــرى فى أقاصيصه على هذا الأساس أساس ، أن القصــة إنما توصف بالحق لأنها تشرح الحق وتقرره لا لأنها فى ذاتها حقيقة ثابتة . وليس أدل على هذا من قصة أصحاب الكهف تلك القصة التى وردت فيها الآية الكريمة :

«نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ»

إذ الــذى نطمــئن إليه والذى قال به بعض الأقدمين من المفسرين أن القرآن الكــريم لــم يذكــر فى هذه القصة الحقيقية التاريخية وإنما ذكر ماكان يعرفه اليهــود وأهل الكتاب عن عدد الفتية وعدد المسنين والأستاذ النجار إنما يعتمد عــلى هــذا القول ويرفض ما عداه فى تعليقه على مادة أصحاب الكهف من الــترجمة العــربية لدائــرة المعــارف الإسلامية على أن نستطيع أن نشرح المسألة بإيجاز فنقول .

يذكــر الدارسون للقرآن والشارحون لأسباب النزول أن قصة أصحاب الكهــف إنما نزلت إجابة عن أسئلة توجه بها المشركون من أهل مكة بإيعاز مــن اليهود الى النبى عليه السلام ليعرفوا أمن الأنبياء هو أم من المتنبئين ؟ ويقــول الدارسون والشارحون إن المشركين حيثما رجعوا من المدينة أو من عــند اليهــود إنما رجعوا ومعهم المقياس الذى يقيسون به صدق نبوة النبى

وصـــحة رســـالته ولم يكن هذا المقياس إلا الإجابة عن الأسئلة . هنا نستطيع أن نسأل هذا السؤال .

مــا الإجابـــة التى يتوقع المتوقع أن ينزل بها الوحى من السماء ليثبت نـــبوة النبى وصدق رسالته . أهى الحقيقة التاريخية من أمر أصحاب الكهف أم هى الإجابـــة الـــتى ذكرها اليهود من أهل المدينة للمشركين من أهل مكة وجعلوها المقياس الذى يقاس به أمر النبى عليه السلام ؟

أعتقد أنك قد فطنت إلى أن الإجابة الثانية هى المطلوب لأنها وحدها المقياس الـــذى وضعه اليهود فى يد المشركين ولأنها التى تثبت حقا أن الوحى ينزل مـــن الســـماء لأن معـــرفة ماقاله اليهود للمشركين قد تكون أشق وأعسر من معـــرفة الخبايا والأسرار والمعرفة الثانية معرفة الوقائع البشرية التى يسجلها التاريخ والتى يتناقلها الرواة والأفراد .

يمضـــى الأســـتاذ الشيخ محمد عبده الى ذلك حين يقول عند عرضه لقصـــة هاروت وماروت من سورة البقرة مايلى فيما نقل عنه صاحب المنار قـــال الأســـتاذ الإمام ما مثاله . بينا غير مرة أن القصص جاءت فى القرآن لأجـــل الموعظة والإعتبار لا لبيان التاريخ ولا للحمل على الإعتقاد بجزئيات الأخـــبار عـــن الغابرين وأنه ليحكى من عقائدهم الحق والباطل ومن تقاليدهم الصـــادق والكـــاذب ومـــن عاداتهم النافع والضار لأجل الموعظة والإعتبار فحكايـــة القـــرآن لاتقدر وموضوع العبرة ولاتتجاوز مواطن الهداية ولابد أن يـــأتى فى العـــبارة أو الســـياق وأسلوب النظم مايدل على استحسان الحسن

واسـتقباح القبيح ، وقد يأتى فى الحكاية بالتعبيرات المستعملة عند المخاطبين أو المحكى عنهم وإن لم تكن صحيحة فى نفسها كقوله :

«كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ»

وكقول : «بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ»

وهـذا الأسـلوب مـألوف فإنـنا نرى كثير من كتاب العربية وكتاب الأفـرنج يذكرون آلهة الخير والشر فى خطبهم ومقالاتهم ولاسيما فى سياق كلامهـم عـن اليونـان والمصريين القدماء ولايعتقد أحد منهم شيئا من تلك الخرافات الوثنية .

المقصـود بالصفة هو الهدف الذى يقصد إليه القرآن من القص فالحق هنا ليس المعانى التاريخية وإنما هى المعانى الدينية والخلقية .

هـذه التفسـيرات مختـلفة لهذه الصفة لك أن تقبل منها ما تشاء وأن تـرفض مـا تشاء ولك أن تفهم إلى جانبها أن القصة الفنية قد تختار أحداثها وأشخاصـها مـن الـتاريخ ومن واقع الحياة وليس يلزم حتما حين تقول بأن القصة فى القرآن إنما تجىء من أن عناصرها من نتاج الخيال .

لايلزم هذا ويجب ألا يفهم على اطلاقة وإنما هى للحلول التى نضعها لنفسـح مجـال القـول أمـام الدارسين ونمكن العقل الإسلامى من أن يفهم القصـص القرآنى على أسس أدبية ، أسس لم يجىء بها من عندنا وإنما وقفنا

عـــليها ملاحظـــة الظواهر الفنية والأدبية التى تجرى عليها عملية القص فى القرآن .

ســـبق وأن أشـــرنا الى أن الشـــيخ أميـــن الخولى قد شرح وطبق منهجه فى موضوعين :

أولهمـــا فى نهايـــة حديـــثة عن التفسير اليوم وهناك أقترح موضوعات لهذا التطبيق .

والموضـــوع الثانى هو كتابه من هدى القرآن ، ولكن تابع التطبيق من بعده تلاميذه بنت الشاطىء ، ومحمد أحمد خلف الله ، وشكرى عياد .

ثالثاً : بحث بنت الشاطىء :

والمـــنهج المتـــبع هـــنا ، هـــو الذى خضعت له فيما قدمت من قبل بضـــوابطة الصارمة التى تأخذ بإستقراء اللفظ القرآنى فى كل مواضع وروده للوصـــول الى دلالـــته . وعـــرض الظاهرة الأسلوبية على كل نظائرها فى الكتاب المحكم ، وتدبر سياقها الخاص فى الآية والسورة ، ثم سياقهاالعام فى المصحف كله . وإذ نضع معاجم العربية وكتب التفسير فى خدمة هذا المنهج فإننا نحاول أن ندرك حسن العربية – لغة القرآن – للألفاظ التى نعرض لها، عـــن طريق لمح الدلالة المشتركة فى شتى استعمالاتها لكل لفظ .وواضح أنه لاســـبيل الى دراسة أى نص فى لغة ما دون فقه لألفاظه فى لغته . ثم يكون للـــنص بعـــد ذلـــك أن يحدد لكل لفظ دلالته الخاصة التى يختارها من شتى الدلالات المعجمية أو يضيف اليها ملحظا ينفرد به .

كمــا ننــتفع بجهـود المفسرين حين نعرض أقوالهم على علم القرآن الكــريم فنقــبل منها مايحتمله نصا وسياقا . ثم يكون ايرادنا للأقوال الأخرى الــتى لايقبــلها الــنص ، لفتا الى وجه الشطط فيها أو التكلف والإعتساف ، وتنــبيها الى ما ينبغى من حذر وحرص ، لإتقاء التورط فى مقحم التأويلات المذهبية والمدسوسات الإسرائيلية .

نحــو القــرآن وبلاغــته وهما الأصل فى القياس لا العكس ، أى يقاس بهما ولايقاس عليهما :

الأصــل أن نعــرض قواعدهم وأحكامهم على البيان الأعلى ، لا أن نعرض القرآن عليها ونخضعه لها .

ضوابط منهج التفسير الأدبى :

١ – الأصــل فى المنهج ، التناول الموضوعى لما يراد فهمه من كتاب الإســلام . ويــبدأ بجمــع كــل مافى الكتاب المحكم من سور وآيات فى الموضوع المدروس .

٢ – فى فهــم مــاحول الــنص : تــرتب الآيات حسب نزولها لمعرفة ظــروف الزمان والمكان ، كما يستأنس بالمرويات فى أسباب النزول مــن حيــث هى قرائــن لابست نزول الآية وليس السبب فيها بمعنى الحكميــة أو العــلية الــتى لولاها لما نزلت الآية ، وأن الخلاف فى أســباب الــنزول يــرجع غالبا الى أن الذين عاصروا نزول الآية أو السورة ، ربطها كل منهم بما توهم أنه السبب فى نزولها .

٣ – فى فهم دلالات الألفاظ : نقدر أن العربية هى لغة القرآن ، فنلتمس الدلالــة الــلغوية الأصلية التى تعطينا حس العربية للمادة فى مختلف

اســتعمالاتها الحسية والمجازية ، ثم نخلص للمح الدلالة القرآنية بجمع كــل مــافى القــرآن من صيغ اللفظ ، وتدبر سياقها الخاص فى الآية والسورة ، وسياقها العام فى القرآن كله.

٤- فى فهــم أســرار التعبير : نحتكم الى سياق النص فى الكتاب المحكم ملــتزمين مــا يحــتمله نصــا وروحا . ونعرض عليه اقوال المفسرين من مدسوس الإسرائيليات والتأويلات المذهبية .

كمــا نحتكم الى كتابنا الأكبر فى التوجيه الإعرابى والأسرار البيانية ، نعــرض عــليه قواعد النحويين والبلاغيين ، ولانعرضه عليها وقد وضعها عــلماء اكثرهم طارىء على العربية لم يكسبوها ذوقاص وسليقة وإن اجادها علما وصنعة .

القرآن كتاب العربية الأكبر فى اكتساب ذوق العربية بإعتباره نصاً ادبياً :

" القــرآن الكــريم " الــذى لاجــدال فى أنــه كتاب العربية الأكبر ، ومعجــزاتها الــبيانية الخالدة ، ومثلها العالى الذى يجب ان يتصل به كل ذى عــروبة اراد أن يكتســب ذوقها ويدرك حسها ومزاجها ، ويستشف اسرارها فى التعبير والأداء مسلماص كان أو غيرمسلم .

شكوى بنت الشاطىء من درس التفسير تقليدياً وإهمال تفسيره أدبياً :

ولكــن التفســير الأدبى للنص القرآنى ظل حتى اليوم ، محصوراً فى نطــاق مادة " التفسير " دون أن ينتقل الى مجال الدرس الأدبى مع المعلقات والمفضليات والنقائض ، والمقامات والرسائل والأمالى .... هيهات أن يرقى إليه نص ما.

توظيف التفسير القرآنى للوحـ[illegible]ـرقية وال[illegible]ـة :

واليــوم إذ تـــتداعى الشعوب العربية بالوحدة ، نلوذ بكتابنا الأكبر الذى نلتقى عنده على اختلاف بيئاتنا ولهجاتنا ، وتباين ميراثنا الحضارى والفنى ، نلتقى عــنده لســاناً ووجداناً، كما يلتقى المسلمون عنده ، فى شتى اقطارهم وعلى اختلاف السنتهم ، عقيدة وديناً .

عمل بنت الشاطىء فى التفسير الأدبى :

ومــا اعرضـــه هــنا ليس إلا محاولة فى هذا التفسير الأدبى للمعجزة الــبيانية الخالدة ، حرصت فيها – ما استطعت – على أن اخلص لفهم النص القــرآنى فهماً مستشفاً لروح العربية ومزاجها ، مستأنساً فى كل لفظ ، بل فى كــل حــركة ونبرة ، بأسلوب القرآ ن نفسه ، وأن احتكم اليه وحده ، عندما يشــتجر الخلاف ويلتوى الطريق وتتكاثف الظلال ، على هدى التتبع الدقيق لمعجــم ألفاظه ، والتدبر الواعى لدلالة سياقه والإصغاء المتأمل ، الى ايحاء التعبير فى ذلك النمط الفذ من البيان المعجز ....

التفسير الموضوعى عند بنت الشاطىء :

والأصــل فى مــنهج التفســير الأدبى – كما تلقيته عن استاذى – هو التــناول الموضــوعى الذى يفرغ لدراسة الموضوع الواحد فيه ، فيجمع كل مــافى القرآن عنه ، ويهتدى بمألوف استعماله للألفاظ والأساليب ، بعد تحديد الدلالــة اللغوية لكل ذلك .. وهو منهج يختلف تماماً عن الطريقة المعروفة ، فى تفســير القرآن سورة سورة ، يؤخذ اللفظ أو الآية فيه ، مقتطعاً من سياقه

العـــام فى القـــرآن كلـــه ، مما لاسبيل معه الى الإهتداء الى الدلالة القرآنية لألفاظه ، أو استجلاء ظواهره الأسلوبية وخصائصة البيانية .

هذا التفسير محاولة تطبيقية للتفسير الأدبى :

وقـــد طـــبق بعض زملاء هذا المنهج تطبيقاً ناجحاً ، فى موضوعات قـــرآنية اخـــتاروها لرسائل الماجستير والدكتوراه . وأتجه بمحاولتى اليوم الى تطبيق المنهج فى تفسير بعضسور قصار ملحوظ فيها وحدة الموضوع ، فضـــلا عـــن كونها من السور المكية حيث العناية بالأصول الكبرى للدعوة الإسلامية ....

وقصـــدت بهـــذا الإتجـــاه ، الى توضـــيح الفرق بين الطريقة المعغهودة فى التفسير وبين منهجنا الحديث الذى يتناول النص القرآنى فى جوه الإعجازى، ويلـــتزم فى دقة بالغة ، قوله السلف الصالح : " القرىن يفسر بعضه بعضاً " – وقـــد قالهـــا المفســـرون ثم لم يبلغوا منها مبلغاً – ويحرر مفهومه من كل العناصر الدخيلة والشوائب المقحمة على اصالته البيانية .

الإعجاز البيانى :

منهج الشيخ أمين الخولى لفظه وأسلوبه :

" ... وبـأخذى بضـوابط منهجه الدقيق الصارم لايجوز نا ان نفسر كـلمة مـن كلمات الله دون استقراء كامل لمواضع ورودها بمختلف وضعها فى الكـتاب المحكـم ولا أن نتناول موضوعاً قرآنياً أو ظاهرة من ظواهره الأسلوبية دون استيعاب لنظائرها وتدبر سياقها العام فى القرآن كله "

القرآن يكشف اعجازه كل جيل :

هـذا القـرآ ن سيظل أبداً النبع السخى لعلماء افلعربية والإسلام على امـتداد الزمان والمكان وموقفه أن الأجيال سوف تجتلى من اسراره الباهرة مالم يتح لنا أن نهتدى اليه .

وبـنت الشاطىء ترى ان البلاغيين جعلوا البلاغة وسيلة لفن الإعجاز بينما ترى هى ان البلاغة تفهم من الإعجاز أى تستنبط منه .

(لقد شغل البلاغيون عن الإعجاز بمباحث بلاغية قدموها بمعزل عن المعجـزة لأنهـم راوا ان علوم البلاغة هى دلائل الإعجاز وسبيل فهمه على حيـن نتعـلم نحـن البلاغة من هذا القرآن ونخلص اليه لنتدبر اسرار بيانه المعجز) .

بـنت الشاطىء لاترى فى القرآن لفظاً مترادفاً ، مع اعترافها بالعجز احياناً عن لمح فروق الدلالة .

القرآن ألفاظه لاتستبدل بغيرها وإنما التفسير لها أو الشرح بما يقاربها لأنه لاترادف مع اللفظ القرآنى .

(ويظـــل للكـــلمة ، فى موضعها من القرآن ، سرها البيانى الفريد ، لاتؤديه كلمة أخرى مهما تبد قريبة منها أو مرادفة لها) .

وتقول بنت الشاطىء : (فلعلى بهذه المحاولة فى فهم الإعجاز البيانى ودراســة مســائل بــن الأزرق قد اجبت عن سؤال هو : أليست العربية لغة القــرآن الكريم ! ففيم لاتفسره بها؟ بالعربية نفهم دلالة الكلمة فى لغتها . ومن شــعر الفصحى ديوان العرب نلتمس الشواهد على هذه الدلالة ، ومن حديث الرســول – صــلى الله عــليه وسلم – سبلغ القرآن ومبينه ، نتبين مغزاها ، وبأقوال الصحابة والمفسرين نستأنس لما نفهم [illegible] منها .

ثــم تبقى الكلمة القرآنية فوق ذلك كله ، متفردة بجلالها واعجازها و إذا لــم يفتــنا أن الــوحى تحــدى بالقرآن لغيره وأن الشعر يحتمل [illegible] الضــرورات الشــعرية مايعدل به الشاعر عن لفظ أو حرف [illegible] الى آخــر قــريب فى معــناه ، ويحــتمل كذلك أن يكون [illegible] على ألسنة الرواة والمدونيــن والنســاخ فينــبغى ألا يفوتنا كذلك أن القرآن استحدث للكثير من الألفــاظ دلالة اسلامية لم يكن للعربية عهد بها قبل البعث ، فليست بأى حال مظــنة ان نلــتمس مــن أى شــاهد من ديوان الشعر الجاهلى إلا على سبيل الإستئناس بما عرفته العربية من معناها قبل الإسلام .

ولايغــض مــن قدر الصحابى الجليل " ابن عباس " أو من غيره من الصــحابه والأئمة ، رضوان الله عليهم . ألا تكون الكلمة القرآنية مرادفة لما يذكرونه فى تفسيرها ، بل يفرض إعجاز البيانى للقرآن أن يعيى أى مفسلر

الإتيــان بمثل الكلمة القرآنية فى مقامها ، بل يعينا ذلك ، أن نجد كلمة قرآنية بديلا لأخرى من كلماته فى غير موضعها منه وسياقها .

قصــارى مــا يملكه افقهنا بالعربية والقرآن ، وهو ان يفهم سر دلالة الحرف أو اللفظ على الوجه الذى جاء به فى البيان المعجز ، فإن يكن تفسير فعلى وجه الشرح والتقريب والله أعلم .

محمــد احمد خلف الله هو الذى تقصى آثار مبحث الفن القصصىفى القــرآن الكريم وواجه بحثه عاصفة عنيفة استخدم فيها الدين والسياسة لحجب هــذا البحث الأكاديمي أن يناقش فى رحاب الجامعة وكانت نقطاته التاريخية أوالفنية للقصة القرآنية التى تتحرى الحق أو الصدق .

التفسير عند السيد قطب :

يــرى الســيد قطــب فى مقالته (التاريخ فكرة ومنهاج) أن الإسلام مهمــته الدائمــة الــتحديد والــتطوير ،يملأ الطاقة الحيوية فى الإنسان فكراً وشــعوراً ويتســم بالواقعية العملية ، وهو لايبرز أو يصور جوانب الضعف الإنســانى بقــدر ما يغلب منه طاقة القوة على جوانب الضعف لتنطلق قواه البشرية المبدعة .

الإسلام حركة شاملة فاعلة فى الفن والحياة

عــلى أن هناك بيئات أخرى تنبت تطبيق هذا المنهج منها بيئة الأزهر والبيــئة الأدبيــة العامــة ، واهتمت بيئة الأزهر بالتفسير الإجتماعى متابعة لمنهج الشيخ محمد عبده والتفسير الأدبى متابعة لمنهج الشيخ أمين الخولى .

أمـــا البيـــئة الأدبية العامة فكان تركيزها أكثر على الجانب الأدبى فى التفسير .

التفسير الإجتماعى :

فى البيـــئة العامة : محمد قطب ودراسات قرآنية يكشف فيه عن وحدة السورة الموضوعية .

فى بيـــئة الأزهـــر : محمود شلتوت فى تفسيره التشريعى الإجتماعى للقرآن الكريم .

محمد المهدى : فى مباحثه المتفرقة وفى كتابه (التفسيرالموضوعى) عنى بالجانب إجتماعى .

ومحمـــد عبد الله دراز : فى الدستور الأخلاقى فى القرآن – والنبأ العظيم – ومدخل الى علوم القرآن .

محمد مصطفى المراغى : فى تفسيره الأدبى الإجتماعى .

ثـــم د. محمـــد محمـــود حجـــازى عن الوحدة تالموضوعية فى القرآن وفى السورة وعلى مدى القرآن كله .

تفسير سورة الضحى (من خلال التفسير البيانى للقرآن الكريم)

تأليف بنت الشاطىء

«وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴿٥﴾ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ»

السورة مكية بلا خلاف ، نزلت بعد الفجر ...

والمفسرون مجمعون على أن سبب النزول ، هو ابطاء الوحى مرة على الرسول صلى الله عليه وسلم – وهو بمكة حتى شق عليه ذلك ، وقيل فيما قيل : ودع محمداً ربه وقلاه .

ثم تناقضت أقوالهم بعد هذا الإجماع – فيمن قالها :

ففى رواية أنه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وقد شكا الى زوجته السيدة خديجة – رضى الله عنها – انقطاع الوحى وقال : إن ربى ودعنى وقلانى .

فقالت : كلا والذى بعثك بالحق ، ما ابتدأك الله بهذه الكرامة إلا وهو يريد ان يتمها لك ، فنزلت الآيات : ماودعك ربك وماقلى .

وفى رواية ثانية ، أنها السيدة خديجة ، وقد رابها فتور الوحى ...

لكن رواية ثالثة تقول : إن " أم جميل حمالة الحطب : امرأة أبى لهب " هى التى قالت : يا محمد ! ما أرى شيطانك إلا قد تركك .

ورواية رابعة تقول : إن المشركين هم الى قالوا فى شماته : قد قلاه ربه وودعه .

ولانقف عند ما اختلفوا فيه ، فأسباب النزول لاتعدوا أن تكون قرائن مما حول النص ، وهى اعتراف الأقدمين أنفسهم لاتخلوا من وهم ، والإختلاف فيها قديم ، والأصح عند الأصوليين أنت العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب الذى نزلت فيه الآية .

وخلاصة ما انتهى اليه قولهم فى اسباب النزول ، أنها مانزلت الآية أيام وقوعه ، وليس السبب فيها بمعنى السببية الحكمية العلية .

وتستهل السورة بالقسم بالواو ، والرأى السائد عند الأقدميين ، أن هذا القسم القرآنى يحمل معنى التعظيم للمقسم به ، قال بن قيم الجوزية :

" وإقسامه – تعالى – ببعض مخلوقاته ، دليل على انها من عظيم آياته .

وسادت هذ الفكرة ، فألجأتهم الى اعتساف فى بيان وجه التعظيم فى كل ما اقسم به القرآن الكريم بالواو .

فى القسم بالليل مثلاً ، قد يبدوا وجه الإعظام إذا لحظوا فيه الحكمة الإلهية من خلق الليل وجعله لباسا وسكناً ، ولكنهم لحظوا فيه كذلك – فى آية الضحى – معنى الإستحياش ، وأنه وقت الغم ، وربما تأولوه بسكوت

المـــوت ، وظلمة القبور ، والغربة ،، مما لايظهر فيه معنى الإعظام إلا عن تكلف وقسر ، وتحميل للنصر ما يأبى أن يحمله .

فالشيخ الإمام " محمد عبده " لم يجد صعوبة فى بيان وجه العظمة فى القسم بالضحى " فالقسم بالضياء للإشارة الى تعظيم أمر الضياء وإعظام قدر الـــنعمة فيه ، وللفت أذهاننا الى أنه آية من آيات الله الكبرى ونعمه العظمى " لكـــنه حيـــن ووجـــه بالقسم بالليل ، اضطر – تحت سيطرة فكرة التعظيم بالقســـم – إلى الـــتماس وجـــه التعظيم فيه ، فى قسر يكفى بيانه أن يرى فى الـــليل أشـــبه بـــالجلال الإلهى . قال رحمة الله : " أما القسم بالليل فلأنه أمر يهولـــك ويدخـــل عليك من انقباض النفس عن الحركة واضطرارها للوقوف عن العمل وركونها الى السكون مالايجد عنه مفراً ، فهذا سلطان من الخوف مبهم ، لاتحيط بأسبابه ولابتفصيل أطواره ، فهو أشبه بالجلال الإلهى يأخذك من جميع اطرافك وأنت لاتدرى من أين يأخذك ، وهو مظهر من مظاهره ، ثـــم فى هذا السكون من راحة الجسم والعقل وتعويض مافقداه بالتعب بياض النهار ، مالاتحصى فوائده " .

ويلاحظ عليهم ، انهم التمسوا العظمة فى الليل ، مطلق الليل ، مع أنه مقيد فى الآية ب" إذا سجى " وقد جاء مقيداً فى آيات أخرى بقوله تعالى :

" إذا أدبر " المدثر .

" إذا عسعس " التكوير .

" إذا يسر " الفجر .

" إذا يغشى " الليل .

" إذا يغشاها " الشمس .

ويلاحظ كذلك ، أنهم فى آية الضحى ، وفى اكثر آيات القسم بالواو ، خلطوا بين الإعظام ، وبين الحكمة فى خلق المقسم به : وما من شيء من مخلوقات اللهلم يخلق لحكمة ، ظاهرة أو خفية ، أما الإعظام فلا يهون القول به ، لمجرد بيان وجه لظاهر الحكمة فى المقسم به .

ولقد ترددت فى تأويل قوله تعالى :

«وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾

ب (اقسم بالضحى وأقسم بالليل إذا سجى) لأن القرآن الكريم لايستعمل القسم مسنداً الى الله سبحانه ، إلا مع " لا" النافية باستقراء كل آيات القسم فى القرآن .

فكان لى من هذا الإستقراء ، ما يؤذن بأنه سبحانه فى غير حاجة الى القسم.

والذى اطمأنت اليه بعد طول تدبر وتأمل فى السور المستهلة بهذه الواو ، هو أن الواو خرجت فيها عن أصل معناها اللغوى فى القسم للتعظيم الى معنى بيانى ، على نحو ما تخرج اساليب الأمر والنهى والإستفهام عن أصل معناها الذى وضعت له لملحظ بلاغى . فالواو فى هذا الأسلوب تلفت لفتاً قوياً الى حسيات مدركة ليست موضع غرابة أو جدال ، توطئة ايضاحية لبيان معنويات وغيبيات لاتدرك بالحس .

فالقسم بالواو غالبا ، لون من ألوان البيان الفنى للمعانى ، بالأشياء الحسية.

وما يلمح فيه من الإعظام ، إنما يقصد به الى قوة اللفت ، واختيار المقسم به تـراعى فيـه الصفة التى تناسب الموقف . وحين نتبع اقسام القرآن فى مثل آيـة الضحى ، نجدها تأتى عرضاً بيانيا لصورة مادية محسة ، يستحضر بها واقـع مشـهود ، لافـت الى صـورة مماثلة أخرى معنوية ، غير مشهودة ولامدركـة ، يمارى فيها من يمارى : فالقرآن الكريم فى قسمه بالصبح لإذا اسفر، وإذا تنفس ، والنهار إذا تجلى ، والليل إذا عسعس ، وإذا يغشى ، وإذا أدبـر يجـلو معـانى من الهدى والحق ، أو الضلال و الباطل ، بماديات من الـنور والظـلمة ، وهذا بيان للمعنوى بالحسى ، هو الذى يمكن أن نعرضة عـلى أقسام القرآن بالواو ، فتقبلها دون تكلف أوقسر أو فى التأويل ، وبيان هذا على وجه التفصيل ، والتماس الشواهد والأدلة عليه ، مما يتسع له بحث خـاص مفرد عن " القسم فى القرآن " . ــ ما هنا – و مجال البحث محدود بموضـوعه – فلاسـبيل لغيـر الإكتفاء بما يعرض لنا من أقسام قرآنية فيما اخترنا من سور ، لكى نوضح الفكرة ونجلو الملحظ .

المقسـم به فى آيتى الضحى ، صورة مادية ، وواقع حسى ، يشهد به الـناس تـألق الضوء فى ضحوة النهار ، ثم يشهدون من بعده فتور الليل إذا سجا وسكن .

يشـهدون الحـالين معـاً ، فى اليوم الواحد ، دون أن يختل نظام الكون أو يكـون فى توارد الحالين عليه ما يبعث على انكار ، بل دون أن يخطر على بـال أحد ، أن السماء قد تخلت عن الأرض وأسلمتها الى الظلمة والوحشة ، بعـد تـألق الضوء فى ضحى النهار . فأى عجب فى أن يجىء ، بعد أنس

الــوحى وتجــلى نوره على المصطفى – صلى الله عليه وسلم – فترة سكون يفــتر بهــا الــوحى على نحو ما نشهد من الليل الساجى يوافى بعد الضحى المتألق !

هــذا هــو ما نطمأن اليه فى التفسير البيانى للقسم بالضحى والليل إذا ســجا ، ولاأعرف – فيما قرأت – أحداً من المفسرين التفت الى هذا الملحظ الــتفاتً واضحاً متميزاً ، وإن يكن بعضهم قد استشرق له من بعيد لكن وسط حشد من تأويلات شتى ، لاتخلو من تكلف وإغراب .

من هؤلاء فخر الدين الرازى ، ونظام الدين النيسابورى فقد ذكرا فى حكمــة القســم بالضحى والليل إذا سجى ، وجوها " منها : كأنه تعالى يقول الــزمان ســاعة فســاعة ، ساعة ليل وساعة نهار ، ثم يزداد ، فمرة تزداد ســاعات الــليل وتــنقض ساعات النهار ، ومرة بالعكس ، فلا تكون الزيادة لهــوى ولا النقصــان لقلى ، بل للحكمة . كذا الرسالة وإنزال الوحى بحسب المصــالح ، فمــرة إنزال ، ومرة حبس ، فلاكان الإنزال عن هوى ولا كان الحبس عن قلى " .

" ومــنها : أن الكفــار لمــا أدعوا أن ربه ودعه وقلاه ، قال : هاتوا الحجة ، فعجزوا ، فلزمه اليمين بأنه ما ودعه ربه وماقلاه " !

" ومــنها : كأنه تعالى يقول : انظر الى جوار الليل مع النهار . لاسلم احدهما عن الآخر . بل الليل تارة يغلب ، فكيف تسلم عن الخلق " ؟ .

ومــنهم كذلــك " الشيخ محمد عبده " حيث قال بعد الذى نقلنا من عــبارته فى وجه الإعظام بالقســم بالليل : " وقد جاء فى الصحيح أن

النــبى – صــلى الله عليه وسلم – حزن لفترة الوحى ، حزناً غداً منه مراراً كى يــتردى مــن رءوس شــواهق الجــبال ولكن كان يمنعه تمثل الملك له وإخــباره بأنه رسول الله حقاً ، فذلك هو القلق والفزع الذى يحتاج لاى مابه تكــون الطمأنيــنة . فآتاه الله ما كان فى شوق اليه ، وثبته بالوحى وبشره أن تــلك الفترة لم تكن عن ترك ولا عن قلى ، وأقسم له على ذلك . واشرا فى القســم الى أن ماكان من سطوع الوحى على قلبه أول مرة ، بمنزلة الضحى تقــوى بــه الحياة وتنمو الناميات ، وما عرض بعد ذلك فهو بمنزلة الليل إذا ســكن لتســتريح فيه القوى وتسعد فيه النفوس لما يستقبلها من العمل . ومن المعــلوم أن النبى لاقى من الوحى شدة فى أول أمرة ، فكانت فترة الوحى ، أى فــتوره . لتثبيته عليه السلام ، وتقوية نفسه على احتمال ما يتوالى منه ، حتى تتم به حكمة الله تعالى فى ارساله الى الخلق " .

ويوشــك الملحظ البيانى ، أن يتوه وسط هذا الكلام فى الضحى تقوى بــه الحيــاة وتــنمو الناميات ، وأن انقطاع الوحى قصد به تثبيت الرسول ، وتقويــه نفســه ، وتهيئة فترة من الراحة بعد الذى لاقى من شدة الوحى أول مرة .

وكان " ابن قيم الجوزية " أقرب الى ادراك الملحظ البيانى فى القسم ، لــولا أن غــلب عليه التأثر بفكرة الإعظام التى أشرت اليها ، فجعل موضع القســم هــنا للدلالة على ربوبية الله وحكمته ورحمته ، مع أن السياق لايشير مــن قــريب أو بعيد ، الى أن الموقف كان ارتيابياً من المشركين فى ربوبية الله وحكمــته ورحمته ، وإنما كان – على قول المفسرين فى سبب النزول –

كلامـاً فى أن الله قـد ودع محمداً – صلى الله عليه وسلم – وقلاه . ونص عـبارة بـن القيم : " أقسم بآيتين عظيمتين من آياته ، دالتين على ربوبيته ، وهمـا الـليل والنهار ... فتأمل مطابقة هذا القسم ، وهو نور الضحى الذى يـوافى بعـد الظـلام الـليل ، للمقسم عليه وهو نور الوحى الذى وافاه بعد احتباسه " .

ومـن المفسـرين من وقف طويلاً عند تقديم الضحى هنا ، وأبعد فى تأويلـه فقـال : " إنـه إشارة الى أن الحياة أولى لمؤمن من الموت الى أن تحصـل كمالاته الممكنة . وأيضاً أنه ذكر الضحى حتى لاتحصل اليأس من روحه ، ثم عقبه بالليل حتى يحصل الأمن من مكره ! " .

ولـم يـتعرض " بـن جريـر الطبرى " لبيان ارتباط المقسم به على المقسـم عـليه ، ومثله " الزمخشرى " فى الكشاف ، وإنما اقتصرا على بيان كـل مـن طـرفى القسم . وكذلك سكت " أبو حيان " فى (البحر) عن هذه الصلة المعنوية بينهما ، وشغل عنا ببيان أوجه الصناعة النحوية .

كمـا لم يتعرض أى مفسر – فيما قرأت – لمقابلة هذا القسم الإلهى بـالواو ، على ظاهرة نفى القسم حيثما جاء فى القرآن الكريم مسنداً الى الله تعالى .

ونعرض بعد هذا لأقوالهم فى تفسير الضحى ، والليل إذا سجا ، فنقرأ فى " الطبرى " اختلاف أهل التأويل فى الضحى .

فهـو النهار كله ، وهو ساعة من ساعات النهار . كما نقرأ اختلافهم في الـليل إذا سجا : فهو الليل إذا أقبل ، أو إذا جاء ، وهو الليل إذا ذهب ، وهو الليل إذا استوى ، وهو الليل إذا استقر وسكن .

واخـتار " الطـبرى " من هذه الأقوال فى الضحى ، أنه النهار ، لأنه ضوء الشمس الظاهرة . واختار فى سجا الليل ، معنى السكون بأهله .

وأجـاز " النيسـابورى " أن يكـون معنى سجا ، سكن الناس فيه ، فيكون الإسناد مجازياً .

والزمخشـرى ، يقـول فى الضـحى : هو صدر النهار حين ترتفع الشمس وتلقى شعاعها ، وقيل ، أريد بالضحى النهار .

وقـال فى سـجا : سـكن وركـد ظلامه ، وقيل معناه سكون الناس والأصوات فيه.

وعند أبى حيان : سجا الليل أدبر ، وقيل : أقبل . وقال الفراء : أظلم وركد ، وقال ابن الإعرابى : اشتد ظلامه .

وقـال الشـيخ محمد عبده فى الضحى : هو ضوء الشمس فى شباب الـنهار . وفى سـجا الـليل : هو ماتجده من سكون أهله وانقاع الأحياء عن الحركة فيه .

ونقـف هـنا عندما اختلف المفسرون فى معنى الضحى : أهو النهار كلـه ، أم سـاعات مـنه ؟ والليل إذا سجا : هل معناه أقبل ، أو أدبر واشتد ظلامه وسكن ، أوسكنت الناس والأصوات فيه ؟

وإذا كـــان الــلفظ لغة يحتمل أكثر من معنى على ماذكروا فى ضحى وســجا – وهــو ما نستبعده –فإن البلاغة لاتجيز إلا معنى واحداً فى المقام الواحد ، يقوم به بلفظ بعينه ، لايقوم به سواه .

والــلغة قــد عرفت الضحى وقتاً بعينه من النهار ، وبه سميت صلاة الضـــحى لوقوعهـــا فيـــه ، والضـــاحية من الإبل التى تشر بضحى ، وقالوا ضـــحى فـــلان غنمه إذا رعاها الضحى ، وضحى بالشاه ذبحها ضحى يوم النحر – وهذا هو أصل الإستعمال فيما ذكر لسان العرب – وقال " يعقوب " فى الأضـــحى : يسمى اليوم اضحى بجمع الأضحاة وهى الشاة تذبح ضحى النحر ، وهى أيضاً الأضحية والضحية .

ودلالـــة الوضوح هى الملحوظة فى كل الإستعمالات الحسية للمادة : فالضـــاحية الســـماء ، ومنه قيل لما ظهر وبدا ضاحية . والمضحاة الأرض الـــتى لاتكـــاد تغيب الشمس عنها ، والضواحى من الإنسان ما برز منه لها كالكـــتفين والمنكبين ومن الحوض نواحيه الظاهرة ، ومن الروم ما ظهر من بلادهـــم . وقمـــة ضحيانة بارزة للشمس ، وضحا الطريق بدا وظهر وقالوا لمـــن يـــبرز الشـــمس ضحا ضحواً وضحواً وضحياً كما قالوا لمن ضربته الشمس ضحا كذلك . والضحياء الفرس الشهباء .

ومن هذا الوضوح والظهور الملحوظين فى الإستعمالات الحسية للمادة قيل : فعـــل فلان كذا ضاحية ، أى علانية . على أن أكثر ما يستعمل الضحى فى الوقـــت المعيـــن مـــن صدر النهار ، فويق ارتفاع النهار ، حين يتم وضوح الشمس .

ومـــنها يســـتعمل فى كل ما وقع أو فعل فى هذا الوقت بعينه ، فيقال اضحى فــلان ؛ذا صـــار فى الضـــحى ، واتيتك ضحوة ، وضحى ، ورعيت الغنم ضحى ، وذبحت الشاة ضحى .

وفى الإســـتعمال القرآنى ، نرى القرآن الكريم استعمل الضحى مقابلاً للعشية فى آية النازعات ٤٦ :

« كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾

وقرن إخراج الضحي بإغطاش الليل فى آية النازعات ٢٩ :

« ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾

كما استعمله ظرف زمان . لهذا الوق بعينه من انهار فى آية الأعراف ٩٧ :

« أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٧﴾

وآيه طه ٥٩ :

« قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾

فــنراه هنا عين للموعد يوماً هو يوم الزينة ، ثم خص وقتاً منه بالتحديد ، هو ضحى ، مما يبعد أن يفسر الضحى بأنه النهار كله .

وتــبعده كذلك آية " الشمس " التى أقسم القرآن فيها بالشمس وضحاها حيــث لانـــرى المعنى يستقيم لو فسرناه بالنهار لقلنا : والشمس ونهارها ، وإنمـــا هو " وقت انبساط الشمس " كما اطمأن " الراغب " فى المفردات ، أو هو صدر النهار حين ترتفع الشمس ويظهر سلطانها " كعبارة " النيسابورى " فى الغرائب .

أما سجا الليل ، فالسكون أو الفتور هو ما يلائم الموقف بيانياً ، وليس الإقبال ولاالإدبار ، كما قال مفسرون . ولم تأت مادة " سجا " فى القرآن كله فى غير هذا غير هذا الموضع ، إلا أن مقابلتها للضحى ، تجعلنا نطمئن إلى أن سجو الليل هو فترة هدوئه و سكونه ، على ما تعرف العربية فى استعمالها لطرف ساجح وبحر ساج ، وفى السحواء وهى الناقة التى إذا حلبت سكنت .

والسكون هو المعنى الذى ذكره " الراغب " فى مفرداته ، وقال " النيسابورى " هو بمنزلة الضحى من النهار .

وقد قلنا فى القسم بالضحى والليل إذا سجا : إنه بيان لصورة حسية وواقع مشهود ، يمهد لموقف مماثل ، غير حسى ولامشهود ، هو فتور الوحى بعد إشراقه وتجليه . لكن من المفسرين من أجهدوا أنفسه لإلتماس السبب الذى من أجله أوثر الضحى هنا بالقسم ، فالزمخشرى يقول أنه تعالى " أقسم بالضحى ، لأنها الساعة التى كلم فيها موسى – عليه السلام – ، وكانت موعده لمعارضة السحرة "

وأضاف النيسابورى والرازى كذلك : " أن الضحى ساعة من النهار توازى جميع الليل ، كم أن محمداً صلى الله عليه وسلم – يوازى جميع الأنبياء وأممهم " .

ولانقف بعد هذا عند تأويلات الإشاريين بأنه الضحى وجه محمد ، صلى الله عليه وسلم ، والليل شعره ، أو أن الضحى هم ذكور أهل بيته عليه الصلاة والسلام والليل إناثهم ويحتمل أن يقال : الضحى نور علمه الذى

يعــرف به المستور من الغيوب ، والليل عفوه الذى يستر به جميع العيوب ، أو هى إشــارة بالضحى إلى اقبال الإسلام بعد أن كان غريباً ، والليل إلى أنه ســيعود غريباً كما بدأ إلى آخر هذه التأويلات الإشارية التى لاموضع لها فى تفسير بيانى للنص الكريم .

«مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ»

والقــراءة بــالدال المشــددة هى قــراءة الجمهور ، وقرأ بعضهم : (ما ودعك) بالتخفيف ، مع تصريحهم بأن العرب استغنت فى فصيح كلامها عــن : ودع ، ووزر ، وودع ، ووزر ، وقد ذكر الزمخشرى هنا قول " أبى الأسود الدؤلى " :

ليت شعرى عن خليلى ماالذى   غاله فى الحب حتى ودعه

وقال آخر :

وثم ودعنا آل عمرو وعامر   فرائس أطراف المثقفة السمر

ولكن الجوهرى فى " الصحاح " قد صرح بأن مثل هذا ربما جاء فى ضرورة شعرية ومثله قول " خفاف بن ندبة " :

إذا ما استحمت أرضه من سمائه   جرى وهو مودوع وواعد مصدق

أى مــتروك . وقــال فى : دع ذا ، أى اتركه : " وأصله ودع يدع ، وقد أميت ماضيه ، لايقال ودعه ، وإنما يقال تركه " .

ولــئن نازعــه محشى القاموس ، فى القول بأن " ماضى ودع أميت " فالشــبهة لاتــزال قائمة ، إذ أن هذه المنازعة ، لاتدفع ماقاله " أبو حيان " من أن العرب استغنت فى فصيح كلامها عن ودع .

والــودع : الــترك ، وقــد استعمل حسياص وفى الوديعة ، تترك فى مكان أو لدى من يرجى أن يؤتمن عليها ، واستعمل التوديع فى الترك لفراق وقــال الزمخشــرى : " التوديع مبالغة فى الودع ، لأن من ودعك مفارقاً فقد بالغ فى تركك ".

ولــم يــجىء مــن المــادة فى القرآن ، بصيغة الفعل الماضى إلاآية الضحى ، وجاء منها فعل الأمر فى آية الأحزاب ٤٨ :

« وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ »

وجاءت صيغة مستودع مرتين ، عطفاً على مستقر ، فى آية الأنعام «وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ»

والقلى : البغض ، وربما كان القلق المادى ، أسبق فى الدلالة الحسية لــلمادة حيــث نــلحظه بوضوح فيما جاء من استعمالات حسية لها : فالقلا والمقــلى ، عــودان يلعب بهما الصبيان ، وقبلا الإبل ساقها شديداً ، واللحم أنضجه فى المقلى والمقلاة .

ومــن القلق الملحوظ أصلاً فى المادة ، جاء معنى التجافى والإرتحال ، فيقــال : اقلولى الرجل : قلق ، ورحل ، وتجافى . وأكثر ما تستعمل المادة يائيــة ، فى البغض والكره غاية الكراهة ، كما جاء فى القاموس ، وقد انتهى " ابــن ســيدة " بالغض الشديد الى الترك والهجر ، فقال فى المحكم : " قليته قلى ، أبغضته وكرهته غاية الكره فتركته " .

وقـد جـاءت فى المـادة فى القرآن مرتين ، احداهما آية الضحى ، والأخرى آية الشعراء ١٦٨،١٦٧ :

« قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ »

ودلالـتها عـلى البغض والكراهية الشديدة والترك ، واضحة وبشدة البغض فسرها " الرغب " فى المفردات فى الموضعين .

ووقفـوا طويلاً عند حذف ضمير الخطاب فى قلى ، فقال الزمخشرى : إنه اختصار لفظى لظهور المحذوف ونظرله بقوله تعالى :

وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً

وهـو قـريب مـن قول الطبرى فى تعليل الحذف : " إنه اكتفاء بفهم السـامع لمعـناه ، إذ كـان قـد تقدم ذلك قوله : ماودعك ، فعرف بذلك أن المخاطب به نبى الله – صلى الله عليه وسلم – " .

كذلك ذهب " أبو حيان " الى أن الحذف للإختصار .

لكـن النيسـابورى أضاف سبباً آخر ، هو رعاية الفاصلة (ضحى – سجى) وقال مثل ذلك فى الآيات بعدها : فآوى .فهدى.... فأغنى .

وعد الرازى فى حذف الكاف ثلاثة وجوده :

- الإكتفاء بالكاف الأولى فى " ودعك " .
- أن اتفاق الفواصل ، أوجب حذف الكاف .
- فـائدة الإطلاق ، أى أنه ماقلاك ولاأحداً من اصحابك ، ولا أحداً ممن أحبك الى يوم القيامة .

وفى الإطــلاق عــلى مابينــه الــرازى ، تحميل للنص مالايحتمل ، والســياق شاهد على أن الخطاب لمحمد – صلى الله عليه وسلم – على وجه التخصيص .

أمــا تعليل الحذف برعاية الفاصلة ، فليس من المقبول عندنا أن يقوم الــبيان القــرآنى على اعتبار لفظى ، وإنما الحذف لمقتضى معنوى بلاغى ، يقويــه الأداء اللفظى ، دون أن يكون الملحظ الشكلى هو الأصل . ولو كان الــبيان القــرآنى يتعلق بمثل هذا لما عدل عن رعاية الفاصلة فى آخر سورة الضحى :

« فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

وليــس فى الســـورة كلها ثاء فاصلة ، بل ليس فيها حرف الثاء على الإطــلاق ، فــلم يقــل تعالى (فخبر) لتتفق الفواص على مذهب أصحاب الصنعة ومن يتعلقون به ؟

ويــبقى القــول بأن الحذف ، لدلالة ماقبله على المحذوف ، وتقتضيه حساســية معنوية بالغة الدقة فى اللطف والإيناس ، هى تحاشى خطابه تعالى لحبيــبه المصــطفى فى مقــام الإيــناس : ماقلاك . لما فى القلى من الطرد والإبعــاد وشــدة الــبغض . أما التوديع فلاشيء فيه من ذلك بل لعل الحس اللغوى فيه يؤذن بالفراق على كره ، مع رجاء العودة !

وقد سبق القول فى هذا التوديع والقلى عند سبب النزول .

ولانــرى أن نقف هنا عندما ورد فى بعض الكتب التفسير من تحديد ســبب الإبطــاء فى الــوحى بــتأويلات دخيلة . كالذى ذكره " الرازى " و" النيســابورى " مــن أن اليهود سألوا النبى عن ثلاث مسائل : الروح ، وذى القرنين ، وأصحاب الكهف .

فقــال صــلى الله عــليه وسلم -: سأخبركم غداً . ولم يقل انشاء الله : أو أن الــوحى أبطأ ، لأن جرواً للحسن والحسين ، رضى الله عنهما ، كان فى بيت النــبى – عليه الصلاة والسلام – فقال جبريل : أما علمت أنا لاندخل بيتاً فيه كلب ولاصورة ؟ أو لأنه كان فيهم من لايقلم الأظافر " ..

وحكاية الجرو هذه ، وردت كذلك فى البحر المحيط لأبى حيان ، وما نــراها وأشباهها ، مما يتعلق به النظم القرآنى ، وإلالما سكت عنها . والذى يعطيــه ظاهــر الــنص ، أن فتور الوحى ظاهرة طبيعية ، شأنها شأن سجو الليل بعد اشراق الضحى .

وهذا يغنينا عن تقديم اسباب والتماس علل ، لتبرير الإبطاء فى الوحى .

كذلــك لانــرى وجهــاً لــلوقوف عندما ذكر مفسرون فى تحديد مدة الإبطــاء ، بأثــنى عشــر يوماً ، أو خمسة عشر ، أو خمسة وعشرين ، أو أربعين ، إذ يغنينا عن مثل هذا ، سكوت القرآن نفسه عن تحديد فترة الوحى بــاليوم أو بالشهر ، ولو كان البيان القرآنى يرى حاجة الى هذا التحديد ، لأن مقتضــى الــبيان أن يســتوفى كل مايدعو إليه المقام مما يتصل بعبارته ، فإذا امسك هنا عن ذكر سبب الإبطاء وتحديد مدته ، فلأن الذى يعنيه من الموقف هــو جوهــر الموقف لاتفصيلاته الجزئية ، فسواء أكان السبب هو ما ذكره

المفســـرون أم غيــره ، وسواء أكانت فترة إبطاء الوحى أثنى عشر يوماً أم أربعيــن ، وســـواء أقـــال قائل – من كان – ودع محمداً ربه وقلاه ، أم أنه صـــلى الله عليه وسلم شعر بالإستيحاش لفتور الوحى ، فالمهم هنا هو جوهر الموقــف ، ولاشىء من جزئياته بذى جدوى على المعنى ، وإلا لكان إهماله والســكوت عــنه ، قصـــوراً فى حساب البلاغة بإعتراف اصحابها انفسهم ، ومعاذ البيان المعجز أن يظن به أى وجه من القصور !

« وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾

الآخــرة تــأتى غالــباً ، مقــابل الدنيا . والمعنى الأول فى المادة هو التأخير ، كما أن المعنى فى الدنيا هو الدنو . فإذا اقترنت الآخرة بالدار ، أو باليوم ، غلب أنها اليوم الآخر ، أما اذا اطلقت ، فهى ذات دلالة أعم ، يدخل فيها : النهاية ، والمصير ، والعقبى ، سواء فى هذه الحياه ، أو فيما بعدها .

وفى آيـــة الضـــحى ، يرجح أن الآخرة هى الغد المرجو ، مجيئها مع "لــك " خاصـــة بمحمد ، وقد أكد الله بهذا الخير الموعود نفى التوديع قبلها ، أوضـــح من أن نتكلف له الأسباب والوجوه على نحو مافعل بعض المفسرين كالرازى الذى ذكر فيها وجوهاً ثلاثة :

أحدهمـــا : أن انقطـــاع الوحى لايجوز أن يكون لعزل عن النبوة ، بل أقصى مـــافى هذا الباب أنه أمارة الموت ، والموت خير لك لما أعد لك عند الله فى الآخرة .

والثانى : أنه لما نزل قونه تعالى :

"مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾

حصــل له تشريف عظيم ، فكأنه استعظم هذا التشريف ، فقيل إن مالك عند الله فى الآخرة خير وأعظم .

والــثالث : وقد صدره الرازى بقوله : وهو مايخطر بالى – وللأحوال الآتية خير لك من الماضية .

ثــم عقــب على هذا ، بذكر طرق يعرف بها أن الآخرة خير له من الأولى وهى :

- لأنك فى الدنيا تفعل مانريد ، ولكن فى الآخرة خير لك لأنا نفعل ماتريد .
- وأن الآخرة خير لك ، إذ تجتمع عندك أمتك .
- وهى خير لك لأنك اشتريتها ، أما هذه الدنيا فليست لك .
- وفى الأولى يطعــن الكفــار فيك ، أما فى الآخر فاجعل أمتك شهداء على الأمم ، واجعل شهيداً على الأنبياء ، ثم اجعل ذاتى شهيداً لك .
- إن خيــرات الدنيا قليلة مشوبة منقطعة ، ولذات الآخرة كثيرة خالصة لك .

وفســـر" الشيخ محمد عبده " الآخرة والأولى بالبداية والنهاية ، قــال : " ولــنهاية امرك خير لك من بدايته " ثم زاد ايضاحا : " إن كــرة الــوحى ثانيا ، سيكمل الدين وتتم بها نعمة الله على أهله ، واين بداية الوحى من نهايته؟ " .

فكأنه يريد أن يحدد الآخرة ، بنهاية الوحى .

وقـد احصينا من مواضع ورود هذا اللفظ فى القرآن ، مائة وثلاث عشـرة مـرة نطمئن فيها الى انها الحياة الآخرة ،إما بصريح العبارة ، – وصـفاً للدار والحياة ، أو مقابلة للدنيا – وإما بدلالة المقام ، وذلك بإستثناء آية ص٧ ، التى جاءت الآخرة فيها وصفاً للملة : ((ماسمعنا بهذا فى الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق)) .

ونسـتأنس فى فهـم آيـة الضحى ، بآيات مثلها جاءت فيها الآخرة مقترنة بالأولى ، بواو العطف :

النجم ٢٥ : فلله الآخرة والأولى .

النازعات٢٥ : فأخذه الله نكال الآخرةوالأولى .

القصص ٧٠: له الحمد فى الأولى والآخرة .

الليل١٣ : وإن لنا للآخرة والأولى .

فـنرى آية الضحى تنفرد عنها بأنها خاصة بمحمد – صلى الله عليه وسـلم– ، فى حالة بعينها هى توهم توديع الله إياه فى أولاه ، وقد نفى الله هذا التوديع ، ثم أكد له أن أخراه أفضل من أولاه. وجاءت الآية بعدها:

«وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾

يـتكامل بها التجلى الإلهى على المصطفى : ما تركك فيما مضى ، وللآخرة خير لك من الأولى .

ولا وجـه عندنا لتحديد المقصود بالعطاء فى الآية،بهذا الذى ذكره " الـرازى " أو سواه ، بل نؤثر إطلاقه ، مسايرة للبيان القرآنى الذى لم يشأ

أن يحدده . فحسب الرسول-صلى الله عليه وسلم- ، الإعطاء الذى يرضيه وليس وراء الرضى مطمح ولا بعده غاية . وما كان لنا ان نحتكم بأذواقنا وأمزجتنا ، وشخصياتنا ،وظروفنا وأحوالنا ، فى تحديد هذا الذى يرضى الرسول ، أو نشغل عن روعة ذاك البيان المعجز ، الذى يتجلى سره فى إطلاقه العام ، وانتهائه الى الرضى، بمثل ما شغل به كثير من المفسرين : فمن قائل فى العطاء الموعود : " إنه ألف قصر فى الجنة ، فى كل قصر ما ينبغى من الأزواج والخدم " على ما نقل الطبرى بإسناده عن ابن عباس وتلقفه من بعده مفسرون عديدون ، ثم لم يكلفهم هذا التحديد بالنوع والعدد ، بل زادوا فحددوا مواد البناء ، فهى ألف قصر من لؤلؤ ، ترابهن المسك، وفيهن ما يصلحن . عن ابن عباس أيضاً.

واختاروا اللون كذلك ، فقالوا إن القصور الألف من لؤلؤ أبيض .

وما أرى ألف قصر فى الجنة ، أو ألف ألف ، من لؤلؤ أو غير لؤلؤ ، ترابهن المسك أو العنبر ، ببالغة فى تقدير العطاء الموعود ما تبلغه تلك الكلمة القرآنية " فترضى " بما تتناهى فى العطاء ، الى غاية الرضى .

وآخرون ، ذهبوا فى تفسير العطاء الى أنه إشارة الى ما سوف يعطى الله رسوله مع الظفر بأعدائه، وفتح مكة ، ودخول الناس فى دين الله أفواجا ، والفتوح الكبرى على أيدى خلفائه .

كما قيل فى العطاء كذلك : إنه الشفاعة و المغفرة لأن الله أمره بالاستغفار للمذنبين ، ويرضيه أن يجاب طلبه . ولأن مقدمة الآية مناسبة لذلك ، كأنه تعالى يقول : لاأودعك ولا أبغضك ، بل لا أغضب على أحد

من أصحابك وأتباعك وأشياعك طلباً لمرضاتك . كما استدلوا بأن الأحاديث الكثيرة الواردة فى الشفاعة ، دالة على ان رضى الرسول فى العفو عن المذنبين من أمته .

ورده " ابن القيم " قائلاً :

" وأما ما يغتر به الجهال من أنه -صلى الله عليه وسلم-، لا يرضى وواحد من أمته فى النار ، فهذا من غرور الشيطان لهم ولعبه بهم فإنه صلوات الله وسلامه عليه ، يرضى بما يرضى به تبارك وتعالى ، وهو سبحانه يدخل النار من يستحقها من الكفار والعصاة ، ولا يشفع الرسول عنده إلا بإذنه " .

ويميل " ابن القيم " الى تعميم العطاء " فهو يعم ما فى الدنيا من القرآن والهدى و النصر وكثرة الأتباع ورفع ذكره وإعلاء كلمته ؛ وما يعطيه بعد مماته " . ووقف الشيخ محمد عبده ، مثل هذا الموقف ، فحمل على " ما للمفسرين هنا من كلام فى الشفاعة ، وفى تكريم آل بيت النبوة ، حشروه فى التفسير حشراً ، وأكثره بعيد عن روح الدين الذى جاء به القرآن ، والأليق به كتب المذاهب التى ساء بها حال المسلمين وتفرقت بسببها كلمتهم " .

وفسر العطاء بنحو ما فسره به " ابن القيم " فقال : إنه " توارد الوحى عليك بما فيه إرشاد لك ولقومك ، ومن ظهور دينك وعلو كلمتك وإسعاد قومك بما تشرع لهم ، وإعلائك إعلائهم على الأمم فى الدنيا والآخرة " .

ونــرى مــع هــذا ، أن فى تحديــد العطاء ، جورا عليه . والأليق بجلال الموقــف أن يكــتفى فيه بالرضى على ما أراد له البيان القرآنى ، فوق كل تحديد، ووراء كل وصف !

وفى الصــنعة الإعــرابية، أثار بعض المفسرين هنا ما أغنى البيان القــرآنى عــنها : القــاعدة النحوية عندهم أن اللام فى (سوف) إن كانت للقســم، لا تدخــل عــلى المضــارع إلا مع نون التوكيد، وإن كانت اللام للابتداء فإنها لا تدخل إلا على الجملة من المبتدأ والخبر ..

لابد إذن من تكلف واحتيال لتسوية الصنعة !

وقــد رأى " الزمخشــرى " أنه " لابد من تقدير مبتدأ محذوف، وأن يكون أصل العبارة : ولأنت سوف يعطيك ربك فترضى " .

وكذلــك قــال " أبو حيان " : إن اللام هنا لام ابتداء أكدت مضمون الجملة على إضمار مبتدأ، أى :ولأن سوف يعطيك .

ونــدرك جــور الصنعة الإعرابية على هذا البيان العالى،إذا احتكمنا الى حس العربية، ووازنا بين وقع التعبير القرآنى :

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾﴾ .

ووقــع ذلــك التعبير الآخر المقدر : ولأنت سوف يعطيك ربك، الذى قال عنه " الزمخشرى " إنه الأصل !

وأنى لبشر يعجزه أن يأتى بسورة من مثل هذا القرآن، أن يقول فى آيــة مــنه ما يقول " الزمخشرى " فى آية الضحى : لابد من تقدير كذا ... لأن أصل التعبير كذا !

ونــراهم هــنا يعرضون القرآن الكريم، كتاب العربية الأكبر، على قواعدهــم الــنحوية، فــإذا لــم يقبــلوها عمدوا الى التأويل و التقدير، كي يخضعوه لها .

وكــان يكــفى أن يأتى التعبير فى القرآن، معجزة البيان، ليكون هو الشــاهد والحجة، والأصل الذى تعرض عليه كل قاعدة لغوية أو بلاغية، لا أن نحكــم فيــه قواعد من صنع النحاة والبلاغيين، وأكثرهم طارئون على العربية، لم يكسبوها ذوقاً وسليقة وإن أجادوها علماً وصنعة !!

وأثار بعضهم كذلك مشكلة أخرى هى :

كيــف يجتمع التوكيد المستفاد من اللام، مع التسويف الصريح فى " ســوف " ؟ ثم أجابوا بأن العطا كائن لا محالة وإن تأخر، لما فى التأخير من مصلحة .

وربطــه الشيخ محمد عبده بإكمال الدين فقال : " إن إكمال الدين لم يتم إلا فى أكثر من عشرين سنة، ونزلت الآية :

﴿دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾

فاستعمال حرف التسويف لذلك " .

وهــم هــنا، كدأبهــم، يثيرون مسائل ما كانت لتخطر على بالنا، ثم يتكــلفون لهــا الجواب . فتأكيد المستقبل ليس بموضع سؤال، ولا هو ببعيد عــن مــألوف العربية والبيان إنما يتسق هنا ويتكامل بلفظ " سوف " إيناسا

الرسـول المصـطفى بأنـه موضع عناية ربه : فى أمسه وغده، فى أولاه وأخراه ..

«أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾

ارتـباط هـذه الآيـات بمـا قبلها واضح، فهو تعالى يبث فى نفس الرسـول الطمأنينة ويثبت قلبه بلفته إلى ما أسبغ الله عليه فى أولاه من نعم : كـان يـتيما، بـل مضاعف اليتم، فآواه ووقاه مسكنة اليتم، وكان ضالاً حائـراً، فهداه تعالى الى دين الحق، وكان عائلاً فأغناه بفضله وكرمه، أفما يكـفى هذا ليطمئن محمد – صلى الله عليه وسلم – الى ان الله غير تاركه ولا قاليه ؟ وهل تركه حين كان صبياً يتيماً معرضاً لما يتعرض له الصبية اليـتامى مـن قهـر وضـياع ؟ وهل قلاه حين كان ذا علية، حائراً يرهقه التفكير فى ضلال قومه ثم لا يدرى سبيل النجاة ؟

لكـن الآيات البينات لم تفهم بهذا الجلاء، وانما ذهب المفسرون الى تأويلات شتى، لتحديد المقصود باليتم، والغنى، والضلال .

ونعـرض أولاً أقوالهـم فى اليـتم والإيواء، والعيلة،والإغناء، والضلال و الهدى، ثم نحتكم فيها الى القرآن الكريم .

فـفى اليـتم والإيـواء، قال " الرازى " : إنه من قولهم درة يتيمة، والمعـنى : ألم يجدك واحداً فى قريش عديم النظير فآواك أى جعل لك من تأوى اليه وهو أبو طالب، وقرئ : فأوى – بالتخفيف ، أى رحم ،

ويقــول الزمخشــرى / محقا " ان تفسير يتيم هنا بالدرة اليتيمة ، من بــدع التفاســير " وانما اليتيم عنده فقدان الأب، ومثله أبو حيان فى البحر ، والشيخ محمد عبده ٠

وقــال "الــراغب " فى المفردات : اليتيم – فى آية الضحى انقطاع الصبى عن أبيه قبل بلوغه ٠

ونحــتكم الى القرآن ، فنراه استعمل اليتيم ، مفردا ومثنى وجمعا ، ثلاثا وعشرين مرة ، كلها بمعنى اليتم الذى فقد الأب ٠

ويلحظ فيه اقتران اليتم بالمسكنة فى عشرة مواضع ٠

الــبقرة : ٨٣ ، ١٧٦ ، ٢١٥ ، والنساء : ٧ ، ٣٥ ، والأنفال:٤١، والحشر:٧

والدهر : ٨ ، والفجر : ١٧ ، والبلد : ١٥ ٠

كما ذكر فيه من آثار اليتم : الجور وأكل المال ،

« إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾

النساء ١٠ ومعها الأنعام .

وعدم الإكــرام : الفجر ١٧ .

« كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾

والدع ، الذى هو الدفع العنيف مع جفوة :

« أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾
وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾

والقهر : فى آية الضحى ٩

وأمــا هذا التتبع ، فلا نملك إلا أن نستبعد تفسير اليتم بغير ذاك الذى فى القــرآن ، وقــد ولد محمد يتيماً ، ثم تضاعف يتمه بموت أمه وجده ، لكنه تعالى نجاه من آثار اليتم التى هى ، بشواهد من آيات الكتاب الكريم : الــدع والقهــر والإنكســار والجور . مما كان مظنة أن يكسر نفسه ، فلا يتطلع الى بعيد الآفاق .

فذلــك هــو قولــه تعالى : ((ألم يجدك يتيماً فآوى)) ترشيحاً بهذا الإيواء الإلــهى – غيــر المقيــد بمتعلق – الى ما بعده من نعمة الهداية بعد حيرة وضلال ، وتهيئة لحمل الرسالة الكبرى .

وقد جاء الفعل من "أوى " فى القرآن ، أربع عشرة مرة ، لايخطىء الحــس فيهــا جميعاً معنى المأمن والحمي والملاذ ، إما حقيقة ، وإما على سبيل الرجاء ، وهو ما سوف نزيده تفصيلاً فى سورة الناز عات .

((ووجدك ضالاً فهدى))

أصــل الضــلال فى الإستعمال اللغوى ،من فقدان الطريق : أرض مضــلة ، يضــل فيهــا . والضلة الحيرة . ونقيض الضلال : الهدى ، وقد اســتعملته العــربية حسياً فى الصخرة الناتئة فى الماء ، يؤمن بها العثار ، وفى وجــه الــنهار ، يكشــف معــالم الطــريق فيؤمنا الضلال . ثم جاء

الإســتعمال المعنوى للضلال والهدى ملحوظاً فيهما الأصل الحسى . وبعده جاء استعمالهما – فى الجو الدينى – للضلال والهدى بمعنى الكفر والإيمان وفى هــذا الإســتعمال الإصــطلاحى حــتى كاد يكون هو المتبادر ، عند الإطلاق .

والقرآن الكريم قد استعمل الضلال بمعنى الكفر والباطل " فماذا بعد الحــق إلا الضـــلال " لكــن مع بقاء الملحظ الحسى اللغوى الذىهو ضلال الطــريق ، بدليــل اقــتران الضلال بالسبيل ، عشرين مرة ، ومعها آيــة السجدة ١٠ :

وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ

ويؤيد هذا الملحظ ، استعمال العمى فى الضلال ، فى آية النمل ٨١ :

«وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِي ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ»

وفى الآية الإسراء ٧٢ :

«وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا»

ومن المفسرين من قالوا فى آية الضحى : إن الضلال هنا هو الكفر ، ذكــر ذلــك " الــرازى " معزواً الى الكلبى والسدى ومقاتل ، بمعنى أن محمداً – صلى الله عليه وسلم – كان على أمر قومه أربعين سنة .

وانكــره جمهــور المفسرين ، ورردوه بان الأنبياء يجب أن يكونوا معصــومين ، قــبل النبوة وبعدها ، من الكبائر والصغائر الشائبة . فما بال الكفر !

وذهبوا بعد ذلك فى تأويل الضلال ، مذاهب شتى بلغت ، فى تفسير الـــرازى وحده ، عشرين تأويلاً ! منها الضلال عن القبلة ، ومنها الضلال عـــن الهجرة متحيراً فى يد قريش يتمنى فراقهم ولكن لايمكنه الخروج بغير إذن مـــن ربـــه ، ومنها الضلال عن أمور الدنيا وشئون التجارة ، فهداه الله فربحت تجارته !

وذكر الزمخشرى وأبوحيان فى تفسير الضلال ، أن محمداً ، صلى الله عـــليه وســـلم ، ضل فى شعاب مكة وهو صغير ، فرده الله الى جده ، وقيل ضلاله حليمة مرضعته ، وقيل ضل فى طريق الشام !

واستطرد أبو حيان يقول : إنه فكراً طويلاً فى هذه الآية ، غير مطمئن الى اقـــوال المفسرين فيها ، وشغل بها فى منامه ، فإذا به يقول : وجدك ضالاً فهدى ، أى وجد رهطك ضالاً فهداه بك . على حذف المضاف ، أى رهط ونظيره عنده ، قوله تعالى : ((واسأل القرية)) أى أهلها .

ومـــا بنا حاجة الى كل هذه التأويلات ، ماذكرناه منها وما لم نذكر ، بـــل يكفى فى الرد على من فسروا الضلال بالكفر ، أن الإستعمال القرآنى لايلـــتزم دائمـــاً هـــذا المعنى الإصطلاحى ، وإنما لحظ فيه – كما رأينا – الأصـــل الغوى من ضلال الطريق أو عدم الإهتداء الى الصواب . وقد قال إخوة يوسف لأبيهم : ((تاالله إنك لفى ضلالك القديم)) وقالوا : ((إن أبانا لـــفى ضـــلال مبين)) وليس الضلال هنا كفراً وإنما هو الشغف بيوسف . وقـــالت النســـوة فى امرأة العزيز ويوسف : ((قد شغفها حباً إنا لنراها فى ضلال مبين)) .

وفى آية الشعراء (٢٠) حكايـــة عن موسى :

((قال فعلتها إذاً وأنا من الضالين)) .

وفى شهادة رجل وامرأتين على الدين بآية (البقرة ٢٨٢) :

وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ

وليـــس شـــى مـــن هـــذه الآيـــات بالذى يحمل على الضلال بمعناه الإصطلاحى ، وهو الكفر .

فالإحـــتكام الى القرآن الكريم نفسه ، يعفينا من التزام المصطلح فى لفـــظ الضـــلال ، وهو ايضاً يعفينا من تلك التأويلات العشرين التى تكلفوها فى تفسير الآية لينفوا الكفر عن محمد قبل أن يبعث .

وغـــريب عـــندنا كذلك ، ان نتصور أن الله منّ على رسوله ، بأنه رده الى أهلـــه حيـــن ضل فى شعاب مكة ، أو عند حليمة ، أو فى طريق الشـــام ! وإن مـــن صـــغار الأطفال من يضل فيرده الى أهله راد ، ربما كوفىء ببضعة دراهم (حلاوة) معروفة .

ومـــثله فى الغرابة ، أن تكون نعمة الله على من اصطفاه لرسالته ، أن ربحت تجارته ، بعد ضلاله فى أمورها وفى شئون الدنيا !

وقـــد قـــال الراغب فى تفسير الضلال : إنه ترك الطريق المستقيم عمداً كان أو سهواً ، قليلاً كان أو كثيراً .

ولانقـــول هنا إلا ماقاله الله تعالى لنبيه المصطفى : " ما كنت تدرى مـــا الكتاب ولا الإيمان " فقد كانت حالته قبل البعث حالة حيرة : عاف حال

قومــه واستنكرها ، ولكن اين الطريق المستقيم ؟ وكيف المخرج والنجاة ؟ وظــل على حيرته أمداً ، حتى جاءته الرسالة فهدته الى الدين القيم وأبانت له سواء السبيل بعد طول حيرة وضلال .

والى مثل هذا ، ينتهى رأى الشيخ ، محمد عبده .

ونحن بهذا فى غنى عما لجأ اليه أبو حيان فى رؤياه ، من افتراض مضاف محذوف ، على تقدير : ووجد رهطك ضالاً فهداه بك ..

((ووجدك عائلاً فأغنى))

العيــلة فى اللغة الفاقة والعز : يقال : عالنى الشيء ، إذا أعوزنى ، ومــنه قالوا للرجل عائل ، إذا كثر عياله لأنهم عالة . وليحظ فيه مع كثرة العيــال ثقل عبء مما يظن معه الضيق المادى والعوز ، ومن ثم قيل عال بمعنى افتقر .

ولم ترد المادة فى القرآن إلا مرتين :

- آية الضحى : «وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغۡنَىٰ ﴿٨﴾

- وآية التوبة ٢٨ :

«وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةً فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَ»

- وهى فى المرتين ، كلتيهما ، مقابلة بالغنى .

فما الغنى ؟

أخــذه جمهــور المفســرين بمعــنى الإثراء ، وهو المعنى القريب المتــبادر ولذلــك فسروا آية الضحى بأن الله : " أغناه فى صباه بتربية أبى طــالب ، ولما اختلت أحواله أغناه بمال خديجة ، ولما اختل ذلك أغناه بمال أبى بكــر ، ولما اختل ذلك أمره بالهجرة وأغناه بإعانة الأنصار ، ثم أمره بالجهاد واغناه بالغنائم " .

هكــذا بنصــه ، من تفسير ارازى ، ومثله فى كشاف الزمخشرى ، وغرائب النيسابورى .

واختصــر الشــيخ محمــد عبده هذه السلسلة الطويلة من الإختلال والإغناء ، مكتفياً بربح التجارة ، ومال السيدة خديجة ، قال :

" وكان الرسول فقيراً لم يترك له والده من الميراث إلا ناقة وجارية فأغناه الله بما ربحه فى التجارة ، وبما وهبته خديجة من مالها " .

وأحســبه بهذا الإكتفاء ، أرادا أن يتقى المشكلة الزمنية التى أحوجت مفســرين الى تأول بعيد ، فالسورة مكية بلا خلاف ،وهذا الغنى بالأنصار والغنائم قد كان بعد الهجرة ، ومن ثم قالوا : " إن هذا كله كان معلوم الله ، وهــو كالواقع ، فيكون من قبيل الإخبار بالغيب ، وقد وقع بعد ذلك فيكون معجزاً " .

عــلى انهــم ذكــروا بعــد غنى المال ، احتمال أن يكون الغنى هو القناعة ، وغنى القلب ، والصبر ، والكفاف .

وجعــل الــراغب الغنى ضروباً:فهو عدم الحاجات وليس ذلك إلا لله وهو غنى النفس ، وكثرة المقتنيات ، والتعفف " .

وأول مـــا نلحظه حين نحتكم الى القرآن ، أن الغنى فيه غير مرادف للــثراء الــذى لم يستعمله القرآن قط . وأسند الغنى الى غير المال فى مثل آيات :

الأعراف :"مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ" ومعها الأنفال ١٩

هـــــــــــــــــــــــــــــــــود ١٠١ :

«وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ»

يونس ٣٦ :

«وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ»

ومعها آية النجم٢٨ .

ابـــــــــــــــــــــــــــــــراهيم ٢١ :

« وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ»

ومعهــا آية غافر ٤٧ ولايمكن أن يفسر الإغناء فى أى موضع منها بالإثراء ..

وجاء الغنى بمعنى الإستغناء ، فى مثل آيات :

التغابن ٦ :

« يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾

عبس ٥ :

« أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ ،

العلق ٧ :

« كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾

وفــرق القرآن بين الغنى والمال ، فقد يكون الغنى مع الفقر المالى كما فى :

آية البقرة٢٧٣ :

« لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ »

ومثله نفى الغنى مع المال والثراء ، فى مثل آيات :

المسد٢ :

« مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾

الجاثية ١٠ :

« مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ ۖ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا »

ومعها آية الحجر ٨٤ ، وآيات آل عمران ١٠ ،١١٦ والمجادلة ١٧

لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ

والغــنى مــن أسماء الله الحسنى ((والله الغنى وانتم الفقراء)) وقد ورد فى القرآن سبع عشرة مرة ، وليس من اسمائه تعالى (الثرى) .

وإن يكـن القـرآن اسـتعمل الغـنى للمال فى مثل آيات (النساء ١٣٥،١٢٩،٦، وآل عمـران ١٨١ ، والـتوبة٩٣ ، والحشـر ٧) إلا أننا لانعـرف أن الرسـول – صلى الله عليه وسلم – قد أثرى بعد المبعث أو اقتـنى مالاً ، بل لانعرف أن مستوى حياته قد تغير مادياً ، بعد أن أفاء الله عـليه مـا أفـاء من غنائم ، فحمل الغنى على الثراء المالى ، لايعين عليه مانعـلم من سيرة الرسول – صلى الله عليه وسلم – من تعفف وتجمل مع فقـر ، ومن قناعة وزهد وتواضع فى المأكل والمشرب والمسكن ، بعد أن سـعت اليه الدنيا . ولو كان غنى المال مما يعده الله من نعمه على رسوله فى الدنيـا ، لكان هناك من مشركى قريش ، أمثال أبى لهب وأبى سفيان ، وأبى جهل بن هشام ، من هم أولى بذاك،على ما نعلم ويعلم المفسرون مما قاسـى المصـطفى مـن فقر مالى ، فى صباه ، ثم فى محنة الحصار بعد الـبعث بشعب أبى طالب ، وعلى ماصحت به الأخبار من بساطة حياته ، بعد أن اتم الله عليه بالنصر نعمته .

وإنمـا أغناه الله بالتعفف وسد الحاجة ، فلم يؤده فقر المال ، كما لم يكسـر اليـتيم نفسه ، بل وقاه الله وقاية نفسية معنوية من آثار اليتم والفقر والضـلال وقايـة ماديـة ترد له أباه الذى مات قبل مولده ، وتملأ خزانته بالمال ، وتهيىء له رغد العيش .

واليتم مظنة الضياع والقهر :

«وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ»

والفقـــر مظنة الذل والعوز ، وقد وجدوا محمداً يتيماً عائلاً ، فأعفاه سـبحانه ، مـنذ كان ، من تلك الآثار البغيضة ، وسلم جوهره من الآفات الـتى كـان معرضاً لها بحكم يتمه وعيلته ، وبذلك تم فيه الإستعداد النفسى لتـلقى الرســالة الكـبرى الـتى بعث بها ليقى الناس من المذلة والتصدع والضلال .

واســتعمل القرآن فى الآيات الثلاث ، الفعل " وجد " وهو من افعال القـلوب ولـم يقـل مـثلاً : أما كنت يتيماً ، وكنت عائلاً ، فسيطر الجو المعـنوى النفســى على الموقف ، وتهيأت للرسول به الطمأنينة الوجدانية لتلقى الآيات الكريمة .

﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾

وقـد قـال المفســرون هنا فى قهر اليتيم : لاتغلبه على ماله وحقه لضعف حاله .

وقال أبو حيان : إنه التسليط بما يؤذى ، ومنع اليتيم حقه .

ونـرى الإيحاء النفسى لعبارة (فلا تقهر) أعمق وأدل من أن يضبط بهذه التفســيرات المحدودة ، فلا الظلم ، ولا التسلط بما يؤذى ، ولامنع الحق ، يـبالغ فى التأثير ما يبلغه قوله تعالى : فلا تقهر . إذ يجوز أن يقع القهر ، مـع انصـاف اليـتيم ، وإعطائـه ماله ، وعد التسلط عليه بالأذى ، لأن حساسية اليتيم، بحيث تتأثر بالكلمة العابرة ، واللفتة الجارحة من غير قصد

، والنــبرة المؤلمــة بلا تنبه ، وإن لم يصحبها تسليط بالأذى أو غلبة على ماله وحقه .

والقهر فى اللغة : الغلبة والبادرة من كل شىء . وقد جاء من المادة فى القــرآن صيغة القهر (الأنعام ١٨،٦١) وقاهرون (الأعراف ١٢٧) والقهــار (يوســف٣٩ ،الــرعد ١٨ ، ص٦٥ ، الزمر ٤ ، ابراهيم ٤٨ ، غافــر ١٦) وكل قاهر ، وقهار ، فىالقرآن الكريم من صفات الله تعالى ، مع اقتران القهار بالواحد ، فى الآيات الست التى وردت فيه :

«وَهُوَ ٱلْوَاحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿١٦﴾

وفى هــذا مــايؤذن بــأن المخلوق لايحل له أن يتسلط بالقهر على مخلوق مثله ، فكيف باليتيم المحتاج الى الرعاية والعطف !

وجاء منه (قاهرون) على لسان فرعون فى آية الأعراف :

«قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾

انتحالاً لصفة الربوبية ممن حشر فنادى :

«فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾

أما الفعل من القهر ، فلم يأت فى القرآن كله ، فى غير آية الضحى ، خاصة باليتيم ، وجاء ودع اليتيم تكذيباً بالدين فى آية الماعون :

«فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾

بما فى الدع من قسوة الدفع والزجر .

وآية الفجر :

«كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾

وفى (السائل) قيل : هو المستجدى ، وقيل هو طالب العلم (الزمخشرى والنيسابورى) وصرح ابن القيم بأن (آية الضحى تتناولهما معاً) يعنى سائل المعروف والصدقة ، وطالب العلم .

واختار " الطبرى " كل ذى حاجة .

واختار الشيخ محمد عبده : المستفهم عما لايعلم ، وهو عندنا أولى بالمقام ، ويؤيده الإستئناس بالإستعمال القرآنى لمادة (سأل) حيث ترد كثيراً فى هذا المعنى كما يرجحها سياق الآيات قبلها .

أما النعمة فهى النبوة عند جمهرة المفسرين ، وخصها قوم بالقرآن ، واتجه بها الشيخ محمد عبده الى الغنى بعد عيلة لأنها فى نسق السورة،مقابلة لقوله تعالى :

«وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾

قال : وقد يقال أن المراد بالنعمة النبوة ، ولكن سياق الآيات على أن هذه الآية مقابله لقوله :

«وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾

فتكون النعمة بمعنى الغنى ، ولو كانت بمعنى النبوة لكانت مقابلة لقوله :

«وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾

أما الزمخشرى ، فرد النعمة الى ماسبق من ايواء وهداية وإغناء .

وعم بعضهم بها جميع النعم .

واللفظ – لغة – يحتمل هذا ، ففى العربية من الإستعمالات الحسية للمادة : الناعمة الروضة ، والتنعيمة شجرة ناعمة الورق ، والنعم الإبل والشاء ،والنعامة الطائر المعروف بنعامة ريشه، والنعامة ايضاً كل بناء على الجبل كالظلة . وفى المعاجم من معانى النعمة : الفرح والمسرة ، والإكرام ، والخفض ، والدعة ، والرفاهة ، والعطية ، واليد البيضاء الصالحة .

وتتبع المادة فى القرآن ، لايمنع – كذلك – شيئاً مما قله المفسرون ، وإن كنا نلمح لها فى آية الضحى دلالة خاصة ، يوحى بها السياق ، وقد التفت " الزمخشرى " – كما رأينا – الى صلتها بما قبلها من إيواء وهدى وإغناء وبقى ملحظ آخر ، وهو ارتباط النعمة بقوله تعالى بعدها : (فحدث) وفيه ما يجلو دلالة خاصة للنعمة فى هذه الآية .

وقد قال المفسرون فى التحديث بالنعمة : إنه شكرها وإشاعتها ، واحتاط جماعة – منهم الزمخشرى والفخر الرازى وتابعهما الشيخ محمد عبده – فذكروا فى التحدث بنعمة الله أنه " إنما يحسن حين لايكون ذلك عن رياء أو تشبه بأهل السمعة " وهو احتياط فى غير موضعه ، فماذا كان يظن به – صلى الله عليه وسلم – أن يقول فى التحدث بنعمة الله مما يشتبه بالرياء والسمغة؟ ومن أى السبل يمكن أن نتصور احتمال الرياء والتشبه بأهل السمعة من المصطفى الأمين الذى هيأه الله للرسالة العظمى ؟

وحمـــل الـــتحدث هنا على الشكر ، إذا سمح به الإستعمال اللغوى ، فـــإن الســـياق لايعين عليه ، وإنما التحدث هنا ، هو ما يتبادر الى الحسن الـــنقى ، ممـــا يتصل بهمة الرسول التى اصطفى لها ، وهو أن يبلغ رسالة ربـــه ، ومن هنا نؤثر أن تكون النعمة هنا ، مهما يكن من دلالتها المعجمية اللغوية ، هى الرسالة ، أكبر النعم التى يؤثربها نبى الرسل .

وقـــد الـــتفت الـــرازى الى مـــلحظ ، يتصل بترتيب الآيات الثلاث الأخيـــرة فى الســـورة ، لكن على غير الوجه الذى ذكره الشيخ محمد عبده فيما نقلنا له من قول .

فـــفى الآيـــات الثلاث ، نرى الله قدم النهى على قهر اليتيم ، ونهر الســـائل ، عـــلى التحدث بنعمته تعالى . ويقول الرازى فى ذلك : " إن الله أخـــر حـــق نفســـه وهو الشكر ، وقدم حق اليتيم والسائل ، لأنه غنى وهما محتاجان ، وتقديم حق المحتاج أولى " كما لحظ اعتباراً آخر ، وهو : " أنه تعالى وضع فى حظهما الفعل ورضى لنفسه بالقول " .

وهـــو ملحظ دقيق ، يلفت الى سر من اسرار التعبير البيانى القرآنى ، وإن كـــنا فى التفاتنا الى ترتيب الآيات ، نلمح سراً آخر رائعاً ، وهو أنه تعـــالى ، نـــبه رســـوله الكريم الى أن إصلاح الجماعة ، يأتى فى المنزلة الأولى من الإعتبار والتقدير ، حين أجمل له فى هذه الآيات الكريمة جماع رســـالته : تدفع ذل الفاقدين ، وقهر اليتامى ، وحيرة السائلين ، فهى رسالة اصلاح وهداية ، أمر النبى بالتحدث بها وتبليغها

((فهل على الرسول إلا البلاغ المبين)) ؟ .

رابعا / الدكتور شكري عياد
والتطبيق على المنهج الآدبى فى التفسير*

فى منهج هذه الدراسة

١- المنهج الأدبى فى التفسير :

منهج التفسير اليوم فى الجامعة منهج أدبى . وقد تناول استاذنا أمين الخـولى فى مقالــة عن التفسير ابحث فى اتجاهات التفسير منذ نشأته الى اليـوم ، وأوضــح تأثـر هذه الإتجاهات بالأغراض التى كان يقصد اليها المفســرون ، ويعــنون بتحقيقها أكثر من غيرها ، وأورد نقد الأستاذ الإمام الشـيخ محمد عبده ، لهذا الإكثار فى مقاصد خاصة ، بأن يخرج بالكثيرين عــن المقصود من الكتاب الإلهى ، وهو فى نظر الأستاذ الإمام – الإهتداء بالقرآن ، ثم يتناول أستاذنا هذا القصد ايضا فيقول :

لكن ليس بدعاً من الرأى أن ننظر فى هذا القصد لنقول : إنه ليس الغرض الأول مـــن التفسير ، وليس أول ما يعنى به ويقصد ، بل إن قبل ذلك كله مقصــداً أســبق ، وعرضاً أبعد ، تتشعب منه الأعراض المختلفة ، وتقوم عــليه المقاصد المتعددة ، ولابد من الوفاء به قبل تحقيق أى مقصد آخر ، ســواء أكان ذلك المقصد علمياً أم عملياً ، دينياً أم دنيوياً ... وذلك المقصد الأســبق والغــرض الأبعد هو النظر فى القرآن من حيث هو كتاب العربية الأكبر ، وأثرها الأدبى الأعظم ن فهو الكتاب الذى أخلد العربية وحمى

* د: شكرى عياد "من وصف القرآن يوم الدين والحساب"

كيانها وخلد معها ، فصار فخرها، وزينة تراثها؛ وتلك صفة للقرآن يعرفها العــربى مهما يختلف به الدين ويفترق به الهوى ، ما دام شاعراً بعربيته ، مدركـاً أن العـروبة أصله فى الناس ، وجنسه بين الأجناس ، وسواء بعد ذلـك أكـان العربى مسيحياً أم وثنياً ، أم كان طبيعياً دهرياً ، لا دينياً ، أم كـان المسلم المتحنف ، فإنه سيعرف بعروبته منزلة هذا الكتاب فى العربية ، ومكانـته فى الـلغة، دون أن يقوم ذلك على شئ من الإيمان بصفة دينية للكـتاب ،أو تصديق خاص بعقيدة فيه ، وليس هذا شأن العرب فحسب ، بل إن الشـعوب التى ليست عربية الدم أصلاً ،ـ ولكن وصلها التاريخ وسير الحيـاة بهذه العروبة ، فأرتضت الإسلام ديناً ، أو خالطت العرب فساطت دمائهـا بدمائهم ، ثم اتخذت العربية لغة ، حتى صارت تلك العربية أصلاً مـن أصول حياتها الأدبية ... حتى هذه الشعوب التى ربطتها بالعربية هذه الأواصـر الوثـقى ، إلى أن صـارت العـربية عنصراً أساسياً ، وجانباً جوهـرياً مـن شخصـيتها اللغوية الفنية ، قد صار لكتاب العربية الأعظم وقـرآنها الأكرم مكانة بين ما تعنى به ، من دراسة أدبية وآثار فنية قولية ، فألـزمها كـل أولئك تناول هذا الكتاب بدراسة أدبية ، تتفهم بها أصول ما ورثـت من تلك العروبة ، إن كانت عربية النجار أو كانت قد اتصلت بتلك العروبة اتصالاً حيوياً قوياً،دفع شخصيتها ، وسير وجودها ، ووجه حياتها. فالعـربى القـح ، أو مـن ربطته بالعربية تلك الروابط ، يقرأ هذا الكتاب الجـليل ، ويدرسه درساً أدبياً كما تدرس الأمم المختلفة عيون آداب اللغات المختـلفة ، وتـلك الدراسة الأدبية لأثر عظيم كهذا القرآن هى مايجب أن

يقــوم به الدارسون أولاً وفاء بحق هذا الكتاب ولو لم يقصدوا الإهتداء به أو الإنــتفاع بمــا حوى وشمل ، بل هى ما يجب أن يقوم به الدارسون اولاً ولــو لــم تنطو صدورهم على عقيد ما فيه ، أو انطوت على على نقيض مايردده المسلمون الذين يعدونه كتابهم المقدس ، فالقرآن كتاب الفن العربى الأقدس ، سواء أنظر اليه الناظر على أنه كذلك فى الدين أم لا .

ثــم يــتقدم اســتاذنا الى بحــث خطة التفسير ، ويوازن بين تفسير القرآن موضــوعاً موضــوعاً ، وتفسيره على حسب ترتيبه فى المصحف الكريم ســوراً وقطعاً ، ويخلص من هذه الموازنة بأن صواب الرأى – فيما يبدو- أن يفســر القرآن موضوعاً ، لا أن يفسر على ترتيبه فى المصحف الكريم ســوراً أوقطعــاً . ثم إن كانت للمفسر نظرة فى وحدة السور وتناسب آيها وإطــراد سياقها ، فلعل ذلك إنما يكون بعد التفسير المستوفى للموضوعات المختلفة فيها .

ويبين قواعد المنهج الأدبى فى التفسير ، فيقول :

" وإذا مــا كـــان وجه الرأى أن التفسير الأدبى لكتاب العربية الأكبر ، هو أول مــايجب أن يحاولــه من لهم بالعربية صلة لغوية أدبية ، سواء أكانوا عــرباً أم غير عرب ، وإذا ماكان وجه الرأى أن هذا التفسير الأدبى ينبغى أن يتــناول القرآن موضوعاً موضوعاً ، لاقطعة قطعة ، فعلى هذا الأساس يكــون مــنهج التفســير الأدبى إذن صنفين من الدراسة ، كما هى الخطة المثلى فى درس النص الدبى ، وهذان الصنفان هما :

أ- دراسة حول القرآن ب_ دراسة فى القرآن .

ويفصل الأستاذ القول بعد ذلك ، فى هذين الصنفين من الدراسة ، فدراسة ماحول القرآن تشمل دراسة تاريخ القرآن ذاته ، وهى الدراسة التى أطلق عليها المتقدمون اسم " علوم القرآن " والتى عالجها المستشرقون فى منهج آخر ، كما تشمل " دراسة البيئة المادية والمعنوية ، التى ظهر فيها القرآن وعاش ، وفيها جمع وكتب وقرئ وحفظ ، وخاطب أهلها أول من خاطب وإليهم ألقى رسالته لينهضوا بأدائها ، وإبلاغها شعوب الدنيا " .

ودراسة القرآن ذاته تبدأ بالنظر فى المفردات ، وأصولها اللغوية ، ومعانيها فى العصر إذن صنفين من الدراسة ، كما هى الخطة المثلى فى درس النص الأدبى ، وهذان الصنفان هما :

أ- دراسة حول القرآن   ب - دراسة فى القرآن .

ويفصل الأستاذ القول بعد ذلك ، فى هذين الصنفين من الدراسة ، فدراسة ماحول القرآن تشمل دراسة تاريخ القرآن ذاته ، وهى الدراسة التى أطلق عليها المتقدمون اسم " علوم القرآن " والتى عالجها المستشرقون فى منهج آخر ، كما تشمل " دراسة البيئة المادية والمعنوية ، التى ظهر فيها القرآن وعاش ، وفيها جمع وكتب وقرئ وحفظ ، وخاطب أهلها أول من خاطب وإليهم ألقى رسالته لينهضوا بأدائها ، وإبلاغها شعوب الدنيا " .

ودراسة القرآن ذاته تبدأ بالنظر فى المفردات ، وأصولها اللغوية ، ومعانيها فى العصر الذى نزل فيه القرآن ، ثم معانيها الإستعمالية فى القرآن ." ثم بعد المفردات يكون نظر المفسر الأدبى فى المركبات ، وهو فى ذلك - ولامرية - مستعين بالعلوم الأدبية نحو وبلاغة.. الخ ، ولكن

لاعلى أن الصيغة النحوية عمل مقصود لذاته ولا لون بلون التفسير كما كان الحال قديماً ، بل على أنها أداة من أدوات بيان المعنى وتحديده ، والنظر فى القرآن كله . ثم على أن النظرة البلاغية فى هذه المركبات ليست هى النظرة الوصفية التى تعنى بتطبيق اصطلاح بلاغى بعينه ، وترجيح أن ما فى الآية منه هو كذا كذا أو إدراج الآية فى قسم من الأقسام البلاغية دون قسم آخر !! كلا ، بل على أن النظرة البلاغية هى النظرة الأدبية الفنية ، التى تتمثل الجمال القولى فى الأسلوب القرآنى ، وتستبين معارف هذا الجمال ، وتستجلى قسماته ، فى ذوق بارع قد استشف خصائص التراكيب العربية ، منضما الى ذلك التأملات العميقة فى التراكيب والأساليب القرآنية ، لمعرفة مزاياها الخاصة بها بين آثار العربية ، بل لمعرفة فنون القول القرآنى وموضوعاته ، فناً فناً وموضوعاً موضوعاً ، لمعرفة تبين خصائص القرآن فى كل فن منها ومزاياه التى تجلو جماله "

تلك أصول المنهج الأدبى فى التفسير ، وما بى أطيل الإحتجاج لها أو أفصل القول فيها ، فلمن أراد شيئاً من ذلك أن يرجع لاى بحث استاذنا إنما أقرر هذه المبادىء واعتمدها قبل أن اطبقها على ما أحاول من دراسة الوصف القرآنى ليوم الدين والحساب . وإن كان لدى ما أحب أن اضيفه الى هذه المبادىء ، فهو أن وراء البحث فى المفردات ، والبحث فى الأساليب ، بحثاً آخر . لايتم التفسيرالأدبى – فى رأيى – إلا به ! وما

أحسب انه غاب عن الأستاذ حين اشترط فيمن يقدم على التفسير الأدبى أن يدرس بيئة القرآن المعنوية ، من عقائد ، ونظم اجتماعيـــة ، وفنـــون متنوعة ، وأعمال مختلفة ، الى سائر ما .

وصف أحوال الناس عند حشرهم :

جاء وصف أحوال الناس عند حشرهم فى هذه الآيات :

« وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ

وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا

و :

« يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا

و :

« يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾

« وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ و

« ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾

و :

« وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾

و :

۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾

وقد فصلنا القول فى الفصل الثالث فى معنى الحشر واستعماله فى القرآن .

وجـاء وصف الكفار بأنهم يحشرون عمياً وبكماً وصماً فى الإسراء /٩٧ ، وبـأنهم يحشـرون عميـاً فى طه /١٢٤-١٢٥ وروى الطبرى اختلافا فى تفسيرالعملى فى الآية الولى على أنه عمى البصر حقيقة أو على أنه منجاز

عـــن فقدان البصيرة ، ومثل هذا الإختلاف فى تفسير قوله بصيراً . ورأى ان الصواب أن يقل فى الموضع الأول :

" يحشـــر أعمى عن الحجة وعن رؤية الشىء،كما اخبر جل ثناؤه ، فعم ولم يخصـــص " وأن يقـــال فى الموضع الثانى : " إن الله عز شأنه وجل ثناؤه عـــم بالخـــبر عـــنه بوصفه نفسه بالبصر ولم يخصص معنى دون معنى ، فذلـــك عـــلى ماعم ... " فتجنب الطبرى كما ترى أن يقطع برأى أو يرجح رأيـــاً عـــلى رأى فى تفسيرالآية ، وفهم العمى والبصر فى الآية على انهما محـــتملان لـــلحقيقة والمجاز معاً . اما الزمخشرى فكان أكثر جرأة فى فهم الآيـــة ، فبعد أن قال : " وهذا مثل قوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوهم عمياً وبكماً وصماً، وكما فسر الزرق بالعمى " قال : " كذلك : أى مثل ذل فعـــلت أنـــت ، ثم فسر بأن آياتنا آتتك واضحة مستنيرة فلم تنظر اليها بعين المعتـــبر وتركتها وعميت عنها ، فكذلك اليوم نتركك على عماك ولانزيل غطـــاءه عن عينيك " فجعل عمى الكافر فى الآخرة كعماه فى الدنيا : عمى عـــن رؤية آيات الله : ولعل هذا التفسير أن تضعف قيمته حين نلاحظ أن الكافر يوم القيامة فى موقف جزاء لاموقف اعتبار . والأولى أن تفهم (الكاف) فى " كذلك " الثانية على انها للتعليل لاللتشبيه ، فيكون المعنى : ان إعـــراض الكافـــر عـــن آيات الله فى الدنيا سبب لإعراض الله عنه فى الآخرة . ويؤنس بهذا المعنى ما أورده الطبرى رواية عن ابن عباس فى

تفسيرقوله تعالى :

« دُونِهِۦۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّاۖ »

ثـم قـال ورأى المجرمون النار فظنوا ، وقال سمعوا لها تغطياً وزفيرؤاً وقـالوا دعوا هنالك ثبوراً ... أما قوله عمياً فلا يرون شيئاً يسرهم ، وقوله بكماً لاينطقون بحجة ، ولكنه ليس كالمجاز الذى فى وصفهم بالعمى والبكم والصم فى « صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾

أو

« صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾

أو

« وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِۗ »

فـالعمى والصـمم والبكم فى تلك الآيات تعبير عن الإنصراف عن التدبر وإجالـة الفكر فى حكمة الخلق ، حتى تصدأ سكات الذهن ، وتبطل وظيفة الحواس . اما فى آية الإسراء وآيات طه فهى تعبير عن بعث هؤلاء الكفار مـتوفى المـلكات ، مبـتورى النفوس ، لايستمتعون بشىء من اللذائذ التى تأتى عادة عن طريق الحواس ، فلوحظ فى الحواس مرة أنها أبواب العلم ، فكـان التعـبير بفقدانهـا المقصود معناه إغلاق ابوب المعرفة ، وهذا هو

نسيان آيات الله . ولوحظ فيها مرة أنها أبواب اللذة ، فكان التعبير بسلبها القهرى معناه الحرمان من جميع اللذائذ ، وهذا هو نسيان الله للكافر ، ونجد فى قوله تعالى :

«أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ »

جعل حرمان الكافر من اللذائذ التى مصدرها الحس جزاء لإعراضه عن العلم الذى طريقه الحس كذلك . كان الهدف البعيد أن يقال : إن لم يستخدم حواسه كما منحها الله سبيلاً للمعرفة كما هى سبيل اللذة . فقد أساء استخدامها وكان جزاؤه الحق ان يحرمها سبيلاً للذة ، كما ضيعها طريقاً للمعرفة .

اساليب التخييل :

عرضنا فيما سبق لما سماه بعض الباحثين فى القرآن " التصوير " و" التخييل " و" التجسيم " يعنون بذلك تصوير المعانى تصويراً يمثلها للحس ، وهذا التصوير هو عندهم لأساس الفن القرآنى . وقد بينا خطأ هذا الزعم ، وبناؤه على وهمين متناقضين فى طبيعة اللغة . فأما الوهم الأول فهو ان اللغة محاكاة للواقع المحسوس ، واما الوهم الآخر فهو ان التعبير العادى يغلب عليه التجريد ، وقد أوضحنا ان الأساليب الفنية ينبغى فهمها على غير هذا الأساس ، وقدمنا نماذج لهذا الفهم فى الفصلين السابقين . ثم عالجنا اسلوب الوصف ، وبينا انه ، وإن صور اشياء محسوسة ، لاتنبنى روعته على محاكاة هذه المحسوسات ، بل على المعنى الأدبى الذى تؤديه

وحــدة الصورة . وأحسب أن هذا البحث يمهد إلى فهم أدق لمعنى " التخييل " فى الوصــف . فمــن الأساليب الأدبية ما يحسن أن يسمى تخييلاً ، ولكن هــذا الــتخييل ليس معناه تمثيل المعنى المجرد فى صورة يتملاها الخيال ، بــل يصح ان يدل به على تقريرا الوصف – سواء أكان حسياً أو معنوياً – فى ذهــن السامع ، بأسلوب يصور له ان الشيء الموصوف واقع فعلاً ، أو بأســلوب يصــور الشــيء الجامد حياً متحركاً .فكلا الأسلوبين يعتمد على أصــل نفسى واحد ، عظيم القيمة فى دراسة الحياة الوجدانية وهو " تنزيل الخيــال مــنزلة حقيقية " . وهو أصل ملازم لسيطرة الوجدان على الحياة النفســية ولذلــك كان عند الأطفال أظهر ، وأقرب مثال له أننا فى كثيرمن الأحيــان نحار فى املر من الأمور فلا ندرى أحدث لنا فى الحقيقة أم حدث لــنا فى الحــلم ، ومخاطــبة الجمادات أو نسبة القول والفعل اليها نوع من الخيــال المــنزل منزلة الحقيقة ، ويمكن أن يعد " التجريد " من هذا النوع لدلالــته على حالة وجدانية بليغة ، والتجريد هو ان يجرد المتكلم من نفسه شخصاً آخر يخاطبه .

وقد استعمل القرآن هذين النوعين من التخييل فى وصف القيامة .

فمــن الــنوع الأول – وهــو كثير الإستعمال جداً – استعمال الفعل الماضى مكان الفعل المضارع ، كما فى قوله :

« يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾

وقوله :

«وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾

ومما يقوى التخييل فى مثل هذه الآيات استعمال إذا الفجائية ، كما فى قوله :

«وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَاۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾

ومنه ايضاً بدء الجمل بضمير الشأن من نحو قوله :

«فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾»

ومنه بدء الوصف بفعل يدل على الرؤية أو السماع كقوله :

«وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾

وقوله:

«وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ»

ومنه اسقاط لفظ القول ، كما فى قوله :

«وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ»

وقوله:

«وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ»

والـنوع الـثانى وهـو تنزيل الجماد منزلة الحى ، أقل استعمالاً ، غيـر أنه مـلحوظ فى بعض الآيات التى قصد بها الى مزيد من التهويل ، كقوله :

«إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾

وقوله:

"إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ۝١ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ۝٣ وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ۝٤ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ۝٥

كما يعد من التجريد وصف شهادة الجلود والأسماع والأبصار على الكافرين ومقاولتها إياهم ، كما ورد فى النور : ٢٤ ، ويس :٦٥ ، وفصلت : ٢٠-٢١ ،

فأساليب التخييل ، إذا ، تقوم على المبالغة فى استخدام الوجدان لتقريب المعانى والصور . وهى اساليب تعتمد على استعدادات فطرية فى النفس ، وتلازم – غالباً – كل وصف يراد به التأثير الوجدانى القوى .

الفن القصصى
فى القرآن الكريم

الحوار :

الحوار وليس من الضرورى أن يوجد الحوار فى كل قصة – فقد تخلو منه القصة وتمضى على انها صورة لشخص أو رسم لحادثة وهذا هو الغالب فى القصص القصيرة . ثم هذا هو الأمر الذى مضى عليه القرآن فى كثير من قصصه الذى يقصد فيه الى التخويف ، بل مضى القرآن الى شىء

آخـــر فى دعايته للعقائد أو ضدها ، فأدار الحوار على انه الخواطر النفسية الـــتى تـــلم بالشـــخص والتى تنقله من طور الى طور ليتخلص من عقيدة ويدخل فى أخرى ، وهذا هو الأمر الواضح كل الوضوح فى قصة ابراهيم من الأنعام

۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾

لكـــنا – مـــع كل هذا – نجد كثيراً من القصص القرآنى كان الحوار فيه عنصراً مهما – إن لم يكن العنصر البارز – وهو على كل حال فى كل قصـــة تعددت شخصياتها وذلك من مثل قصة يوسف وقصة موسى فى طه وقصـــة آدم فى الأعراف ثم فى مجموعات قصص سورتى هود والشعراء

وفى قصـــة ابراهيم فى سورة مريم وفى غيرها من القصص الذى يراد به التثبيت أو شرح مبادىء الدعوة الإسلامية .

ونستطيع أن نضرب مثلاً لذلك هذا الجزء من قصة موسى فى سورة طه

« وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾ اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴿٥١﴾

قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾

وموضوعات الحوار فى القصص القرآنى هى الموضوعات الدينية فى الغالب وهى الموضوعات التى بسببها قام بين النبى – عليه السلام – وقومه جدل عنيف وتلك من أمثال الوحدانية والبعث وكون الرسل من البشر وليسوا من الملائكة وإحداث الأمور الخارقة أو المعجزات للدلالة على النبوة ، وغيرها ، وقد سبق أن صورنا كثيراً من هذه الموضوعات

فى الفصول الأولى عند حديثنا عن القيم الدينية والأجتماعية فلا داعى لذكرها هنا .

وطريقة القرآن فى تصوير الحوار تقوم على أساس الرواية ، فيحكى القرآن أقوال الأشخاص ويصدرها بقوله قال أو قالا أو قالوا .

هذا التصدير يلفت ذهننا الى أمر خاص بالحوار فى القصص القرآنى هو انه ليس من اللازم ان يقوم الحوار بين اثنين ، فقد يكون بين كثرة . وكل هذه الأمور ملحوظة فى القصص القرآنى ، فيكون الحوار بين اثنين كالحوار بين ابليس وآدم وبين ابراهيم وابيه وبين موسى وفرعون ويكون بين واحد من طرف واثنين من طرف آخر ، كما هو الواضح فى قصة موسى السابقة ، فقد كان موسى وهارون الركن الثانى من اطراف المحاورة . وقد يكون بين واحد من طرف وجماعة من طرف آخر كالحوار الواقع فى أكثر القصص القرآنى بين الرسل وأقوامهم .

والقضايا التى يعتمد عليها القرآن فى حواره ترجع فى الغالب الى المسلمات الدينية أو المسلمات بحسب العرف والبيئة ، ومن هنا تقوم على اساس اللذة والألم أو المنفعة والمضرة وانهما بيد الإله المتفضل يمن بهما على عباده كل وما يستحق .

والأسلوب الأدبى فى الحوار يخضع خضوعاً يكاد يكون تاماً لسمات الأسلوب القرآنى كله ولذا نلحظ فيه هذه السمات .

ان لغة الأسلوب تختلف بأختلاف الموضوعات والطور الذى نزلت فيه ، ومعنى ذلك أنه أسلوب فنى يجرى فى كل قصة من القصص على وتيرة

واحــدة ، ومعنى ذلك ايضاً ان القرآن كان لا يساير نفسية المتحاورين بقدر مــا يساير نفسية محمد – صلى الله عليه وسلم – ونفسية معاصريه ، ومن هــنا خضــع أسلوب القصص لتلك المميزات العامة المعروفة عن اسلوب القرآن فى عهديه المكى والمدنى .

يلاحــظ انــه فى القصص الذى نزل أولاً كان يعتمد على الرنين الصوتى للألفــاظ ، يعاونه فى ذلك الفقرات القصيرة المسجوعة ، وذلك لأن عاطفة النــبى – عليه السلام – كانت فى ذلك الطور قوية جياشة مندفعة ، ومن هــنا كــانت الأنــتقالات الفجائية السريعة التى تظهر فى القصة الواحدة ، والــتى تظهــر فى مجموعة القصص الواردة فى سورة واحدة ، ولذا كان القصــص قصــيراً جداً فى هذه الفترة ، ويمثل هذه السمات قصص سورة القمر .

يلاحــظ فى القصص الذى يوضح العقائد الجديدة ، ويحاول ان يهد القديمة أن الســخرية بالأفكــار والعقائد تدخل فيه كعنصر فنى ، وهى سخرية مرة نــافذة ، إذ تحــاول ان تضع الحقائق الواضحة المتميزة أمام كل ذى عينين ليســتفيق مــن غشيته ، وليحس احساساً قوياً بما هو فيه من ضلال ، وذلك الأمــر يمــثله قصص ابراهيم عن عبادة الأوثان ، خاصة فى سورة مريم والشــعراء . كما يلاحظ فى هذا الجزء شيئاً من هدوء العاطفة عند الرسول ، ونــلمس ما تحمل الألفاظ من حنان حتى ليشعر القارئ أو السامع أنه فى كــنف شــخص عظيــم يظلــله برعايته ويحاول أن يصرف عنه القسوة و

العذاب، ويمثل هذا اللون قصص هود وصالح وشعيب من سورة الأعراف كما يمثله قصة إبراهيم فى مريم .

فى القصـــص الذى يأتى للتنفيس والإفاضة تكون العواطف جياشة قوية وإن تكـــن أميـــل الى الإستسلام ، وذلك هو الأمر الذى تدفع اليه العلاقة القائمة بيـــن الرسل والقوام ومن هنا تاتى الألفاظ هينة مسترسلة لنجرى مع طبيعة العاطفة وما فيها من يأس واستسلام . ومن هنا نلحظ من حين لآخر وجود العنصـــر الفـــنى الديـــنى الذى اسميناه فيما يأتى بالمناجاة ، وهى عبارات تقليدية فى بعض الدعية الدينية .

وهـــنا قـــد نلاحظ اختلافاً فى العاطفة بين المتحاورين ، فيبقى المستكبرون عـــلى مـــا عرف عنهم من قسوة وجبروت ، ويمضى الأنبياء بين بين وإن غلـــبت المسألة ، وذلك لما يكمن فى قلوبهم من حبة الأهل والعشيرة ، ولما يـــبغونه مـــن انتصار الدين ، وما يرجونه من اسعاد الأهل والعشيرة ، أو اسعاد من تحمله الأرض أو تظلمه السماء .

وعـــلى الجمـــلة فالأسلوب القرآنى فى القصص يساسر نفسية النبى محمـــد – عـــليه الســـلام – وســـتظهر هذه المسايرة فى حديثنا المقبل عن القصـــص القـــرآنى ونفسية الرسول – عليه السلام – وإن كنا نجعل الحكم الأدبى فى هـــذه الجمـــلة ، وهـــو أن أسلوب القرآن فى التعبير عن أفكار الأنـــبياء و المرســـلين أو الأقـــوام لا يشاكل الواقع وإنما يمشى على وتيرة واحـــدة فى القصـــة الواحدة ، وهو الأمر الذى يحاول أن يمصى القصص عـــلى خلافـــه فى هـــذه الأيـــام ، إذ نرى الحوار يمثل نفسية المتحاورين

وأسـلوبهما فى الحديـث و المخاطبة وعقليتهما فى التفكير وفى الحركات الذهنية ، كما قد يمثل الحرف والصناعات .

ومـرات قليلة تلك التى نجد الحوار فيها يمثل شخصية المتحاورين ومـا فيهـا مـن قـوة وجبروت وما لها من عظمة وكبرياء ، وتلك هى المحـاورات الـتى يقصها القرآن الكريم على لسان فرعون أو على لسان ابـليس حين يحاور كل واحد منها شخصية الرسول الذى قام الى جانبه فى القصـة كشخصـيات موسـى وآدم عـليهما السلام . وهى مرات تجعلنا لانطمـئن اليها أكثر من اطمئناننا الى الأمر الأخر وهو أن الحوار انما يمثل أكثر من كل شئ الدعوة الأسلامية ونفسية محمد عليه الصلاة والسلام .

القضاء والقدر :

وقـريب مـنهما الحـظ وكل تلك عناصر وجدت وأدت دورها فى بعـض القصص القرآنى وقد ضربنا لبعض هذا مثلاً فيما مضى عند حديثنا عـن النوع الأول من الأحداث ، وشرحنا كيف يدخل عنصر القضاء فينقذ الرسول – عليه السلام – من القتل والاضطهاد .

خامسا : الأستاذ الدكتور/ مصطفى الصاوى الجوينى وتطبيقه للمنهج الأدبى فى التفسير

محاولـــــة ومدخـــــل :

لفهم الألوان فى القرآن الكريم على ضوء ما قررته الدراسات الإنسانية واللغوية

قامت دراسات شتى حول الألوان ، بعضها نقدى وبعضها نفسى ، وبعضها فلسفى ، وبعضها جمالى ....

أ- فى مجال النقد الأدبى :

كان لموضوع الألوان أثره فى التفرقة بين المدرسة الكلاسيكية (الإتباعية) والمدرسة الرومانسية (الإبتداعية) ، حيث تقوم المدرسة الأولى عـــلى اساس من التشبيه الحسى ، بينما تقوم المدرسة الأخرى على أساس من التشبيه النفسى .

وفـــرق كـــبير بين لغة " الحس " " ولغة التنفس " وهذا الفرق توضحه الألوان حسية كانت أو نفسية .

ب- فى مجال الدراسات النفسية :

فقـد عـنى علـماء الـنفس بتتبع أثر الألوان ووقوعها فى نفوس الرائين والمشـاهدين ، وهـذا هو العالم النفسى " يولو " يصنف انماط المشاهدين ، للألوان فيجعلها اربعة :

١- النمط الموضوعى .

٢- النمط الفسيولوجى .

٣- النمط الإرتباطى .

٤- النمط الخلقى .

فالموضوعى : هو الذى يوجه عنايته الى خصائص اللون .

والفسـيولوجى : هو الذى يلاحظ أثر اللون على احساسه فيصف ما يحس به إزاء اللون .

والإرتباطى : هو الذى يتذكر مناظر واحداثا وأشخاصا يرتبط اللون بهم .

والخـلقى : هو الذى يهب الألوان نفسها مزاجا وأحوالا وخصائص وأنشطة قد يشاركها فيها أو لايشاركها أى يصفها بأنها

مرحة ، أو هادئة ، أو قلقة ، أو صاخبة ، أو مثيرة .

جـ - فى مجال الدراسات الفلسفية :

فقد عنى روادها بالوقوف عند ايحاءات اللون ، والغوص وراء رموزه وإشاراته . فلكل لون فلسفته ، وتختلف هذه الفلسفة من مجال الى مجال ومن شىء الى آخر .

فالألوان فى الملابس ، غيرها فى الحوائط غيرها فى السماء ، غيرها فى الرياض والحقول النضرة ...!وهكذا ....

وقــد ألف " توماس كارليل " كتابه " فلسفة الملابس " الذى سجل فيه أراءه فى الــناس والحيــاه ، ووضع فيه اراءه وانطباعاته ، وتأملاته حول الملابس والألوان .

وهو لايهتم بالملابس الا من حيث اشارة الى " الظاهر " الذى يقابله " الباطن " ، أو "البرانية " التى تقابل جوانبه .

د- أما الدراسات الجمالية للون :

فقــد اهتمت بأساليب استعماله وتكوينه ، فهى دراسات تطبيقية أكثر منها نظرية .

بين العلوم الإنسانية والقرآن :

ومــن هــذا العرض السريع الموجز يتضح لنا أن " الألوان " كانت موضوعاً هاما من موضوعات الدراسة فى مجال العلوم الإنسانية وما كان لــلقرآن ، وهــو كتاب االإنسانية الأعظم ، المنزل من عند الله ، أن يغفل " الألــوان " وهــو يــتحث الى الإنسان ويحرك مشاعره نحو الخير والحق والنور والجمال .

والــلون – واحد الألوان – وهو هيئة كالسواد والبياض والحمرة واللون : النوع ويقال فلان متلون : اذا كان لايثبت على خلق واحد وحال واحدة .

قال الشاعر :

كل يـوم تتـلون غيـر هذا بك أجمل

ولقد تناول القرآن الكريم مادة اللون فى تسع آيات من آياته فتتناول " اللون البشـرى " وبين أنه من صنع الله وخلقه . وأنه قدر من قدره وأنه لايصلح أساسا للتفرقة العنصرية أو صرخات الدماء . فقال تعالى :

« وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾

وبيـن أن اخـتلاف " الـلون " ليس ظاهرة بشرية وإنما هى ظاهرة كونية عامة ....

ففى الدواب والنعام :

« وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾

وفى الزرع :

« أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾

وفى الثمار :

« أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾

وفى الجبال :

« ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾

ويقر القرآن : أن كل ما على الأرض مختلف الألوان متباين

وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾

ولــو تصــورناأن اشياء هذا الكون فطرت على لون واحد وسارت على وتيرة واحدة لكان ذلك بالنسبة لنا شيئا مملا وقاتلا وغير محتمل .

ولكن الله الذى أراد للإنسان الخير،لون له الحياة ، أرضها وسماءها وزرعها وماءها .. حتى تكون محببة اليه ، مألوفة عنده ، مؤنسة له .

انظــر الى الزهرة اليانعة ، والشمس الطالعة ، والفراشة الرقراقة ، والــبلابل المغردة ، وقطع الأرض المواشاه، والأشجار الباسقة ، والأسماك السابحة ، والنعام السارحة ...

وتــأمل ماتــرى من ألوان زاهية بهيجة خلابة ثم قل لى . أى كون عجيب بديع هذا الذى قدر علينا أن نعيش فيه ونحيا ؟!

إن القــرآن ليأخذ بمجامع قلوبنا ، وهو يحدثنا حديث هذا الكون ... ومافيه من ألوان وألحان !

إنـــه حديــث العــبرة والعظـــة ... ثم هو حديث العلم والمعرفة ، واكتشاف آفاق الكون ومجاهله والتعرف على اسراره وأخباره !!

إنـــه يــريد منا ان تكون نفوسنا لماحة ، تتلقف كل ما يلقى اليها من إشعاعات هذاالكون ، وإمتاعه !!

إنـــه يطــلب إليــنا ألا تفوتنا همسة ولالمسة ، ولانبرة ، ولالمحة ، ممايدور حولنا فى هذا الكون الرائع البديع ..!

إنـــه يعدنا ويعد عواطفنا لكى تكون أداه استقبال شفافة لرسائل الحياه الصوتية .. والضوئية !

ومن وراء هذا الاعداد العاطفى المشبوب ... نجد (القرآن الكريم) يعدنا اعدادا علميا دقيقا وعميقا وتأمليا والعاطفة والعلم .. يسيران فى اتجاه واحد ، نحو غاية واحدة .. هى فهم هذا الكون ، واكتشافه

واكتناه أسراره .. وغزو مجاهله !!إن القرآن الكريم يدعونا الى النظرين معا .. العاطفية والموضوعية .. القلبية والعقلية .. لنصنع حضارة المادة والروح .. ومدينة الواقعية والمثالية . . !

وما خلقنا لغير هذا ..!

حـــرام فى نظـــر القـــرآن ، أن تمر من بين أيدينا ومن خلفنا رؤى الكـــون وملامحـــه ، فـــلا نـــتريث عندما ندرسها ، ونتأمل وجهها ونتملى محاسنها ..!

حـــرام فى نظر القرآن .. ان نعرف خالق هذه الأكوان والألوان .. عن طريق هذه الأكوان والألوان .

ومافيها من فنون ، وفتون ، كما هى وكما خلقها المبدع الأعظم سبحانه ..

ولنـــبدا مـــع – القرآن الكريم – جولة سريعة وخاطفة حول بعض الألوان التى استعملها فى التعبير . وتوضح مقاصده ..

١ – البياض :

وردت مـــادة الـــبياض ومشتقاتها فى القرآن الكريم اثنا عشر مرة وتشير هذه المادة الى الصفاء والوضوح والسلام والإطمئنان والنعمة

وأقرأ فى قوله تعالى :

« يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾

وأقرأ فى قوله تعالى : ﴿ بيضاء لذة للشاربين ﴾

٢-الخضرة :

ووردت مادة " الخضرة " ومشتقاتها فى القرآن الكريم ثمانى مرات والخضرة لون النضرة والحياة .

يقول الله تعالى

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾

٣- الصفرة :

ووردت مادة " الصفرة " ومشتقاتها فى القرآن الكريم خمس مرات انه لون الذبول ، والخمول ، والكآبه ، والخوف والعذاب والضياع .

يقول الله تعالى :

« وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ »

ويقول :

«أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾

٤- السواد :

ووردت مـادة " السـواد " ومشتقاتها فى القرآن الكريم سبع مـرات وهـو لـون الحزن والعبوس ، والكآبه ، والخيبة والتعاسة والمصير المعتم ..!

يقول الله تعالى :

« يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾

ويقول :

« وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾

ويقول :

« وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾

وهـناك ألوان أخرى لم تتكرر فى القرآن الكريم كثيرا ، كالزرقة ، والحمرة ، والغبرة ، والسبور .. !

يقول الله تعالى :

« يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾

ويقول:

« أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾

ويقول :

« وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾

ويقول :

« وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾

سؤالان :

تلك بعض معانى الألوان فى القرآن الكريم .

وبقى سؤالان - السؤال الأول :

هل هذه المعانى حتمية لهذه الألوان ، بمعنى أن كل لون أبيض يدل على السلم والصفاء ؟ وكل لون أصفر يدل على الذبول والكآبة وهكذا ؟

والجواب : لا... فالقرآن الكريم قد يستعمل هذه الألوان لغير هذه المعانى ... فاللون الأبيض مثلا إذا طغى على سواء العين كان إمارة حزن وأسى :

فى قوله تعالى :

« وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾

واللون الأصفر قد يكون إمارة مسرة وانشراح فى قوله تعالى :

" قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾

ومـــن هـــذا نعلم ، ان اللون الواحد يحمل للنفس عدة ايحاءات بعدة اعتبارات ..

فحمـــرة الدم ، غير حمرة الورد ، غير حمرة الشفق الأحمر ، غير حمـــرة الـــلهيب المستعر .وزرقة السماء ، غير زرقة الوجه ، غير زرقة الزهرة ، غير زرقة الماء الآسن ..

وســـواد الحم ، غير سواد الشعر ، غير سواد العين ، وهكذا تختلف الألوان بإختلافات الدلالات .

السؤال الثانى :

هل اكتفى القرآن فى عرضه للألوان بالألوان (الأصلية) كالحمرة والـــزرقة والسواد دون أن يعير الألوان (البيئية) أى اهتمام ؟ والجواب : أيضا . وللمرة الثانية . لا.

فقـــد تحدث القرآن عن الغبرة ، والقترة ، والسبور .. وما اليها من ألـــوان " بينية " .. وهذه الألوان البينية هى التى تعطى الأدب طابع التحديد والدقة على حد قول يحيى حقى في كتابه (خطوات فى النقد الأدبى) .

وإننى لأضم صوتي الى صوت يحيى حقى فأدعو أدبائنا العرب الى اســـتعمال الألـــوان (البينية) حتى يكون أدبهم أكثر دقة وعمقا وشمولا ، وحتى يرافد الآداب العالمية فى النبوع والإنتشار .

وفى المعــاجم العــربية عشــرات بل مئات من الألفاظ الدالة على الألــوان البيئية ولكنها فى حاجة الى البعث والإستعمال والظهور فى دائرة النور .

وبعــد .. فهــذه اشارات موجزة الى (الألوان فى القرآن الكريم) قصــدت فيهــا أن ألــم بجانب من جوانب الإعجاز البيانى فى هذا الكتاب المبين .

القرآن يفضح المنافقين

المــنافقون تعــبير قرآنى بليغ للدلالة على مضمونه ، مغناه مبتكر أصــلا من نفاق اليرابيع ، وهى نوع من الفئرآن لها حيل عجيبة فى الهرب والمراوغة ، فهى تجمع التراب على باب الجحر تحصنه أو تسده ، وتعمل حفائــر مــتعددة اذا طلبت من احداهما نافقت أى خرجت من حفرة أخرى وهكــذا .. وتمســح فى براعة آثارها على الأرض كى يضل من يتتبعها . ولهــذ كلــه ســمى الله عــز وجل الكافر فى باطنه المظهر بالإيمان غير مايبطن، والمحتال كى لايعرف أمره ، بالمنافق ..

صــور القرآن المنافقين فأبدع التصوير ، صور ظاهرهم المزوق ، جمال اجسام

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ﴾

وتصنعا فى القول

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ﴾

ورفاهيةعيش

وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَـٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا

فِى ٱلدُّنْيَا وَ

وأخشـــى ماكان يخشاه المنافقون أن ينفضح باطنهم ، ومن ثم سلط
عليهم القرآن أنواره المبهرة وأبرز بالضوء مافى نفوسهم الخبيثة

يَحْذَرُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى

قُلُوبِهِمْ ۚ

وكثير من الآى القرآنى يصور حقيقة مايعتمل فى باطن المنافقين ، ويجمل هذه الحقيقة ذاتها قوله تعالى :

يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ

بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾

والمـــنافقون وإن اتخـــذوا مـــن ايمـــانهم ستارا فقد فضحهم سلوكهم الظاهـــرى وإن جاهدوا فى التخفى ، تحكى كتب السيرة أن المنافقين كانوا يحضرون المسجد فيسمعون أحاديث المسلمين ويسخرون منهم ويستهزؤون بديـــنهم . فـــلما رآهم رسول الله يتحدثون فيما بينهم خافضى أصواتهم وقد لصـــق بعضهم ببعض أمر بهم فأخرجوا من المسجد إخراجا عنيفا .. ثم هم غير المؤمنين بتكاليف الدين

« إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾

والمــنافق أخطر مسلكا من المعلن صراحة ، لعدائه فالعدو معروف أمــره أمــا المــنافق فمتنكر في زي الصديق أو الرفيق .. ويعجب للمتتبع للآيــات الــتي عرضت للمنافقين في القرآن كيف أن شأن المنافقين هو في كل زمان وفى كل مكان .

ولعل الملحظ الهام هنا أن معظم الآيات التي وردت في شأن المنافقين كلها مدنيــة أى وقت أن كان المسلمون يجاهدون لإرساء دعائم دينهم ودولتهم . شــن المــنافقون على المسلمون حربا نفسية باردة شككوا فى قيادة الرسول وعظمته الإنسانية ، وعدو قلبه الكبير الرحيم سذاجة ، وهم السذج

« وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ :

وشــككوا فـــي دينه واستهزءوا بتعاليمه متحالفين فى ذلك مع الكفار أعداء التطور فى كل زمان

« بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾

ولما يحين الحرب ، ينطلق المنافقون وينفثون سموم دعايتهم الخبيـــثة ، فـــفى وقعة بدر يحننون المؤمنين بقولهم : " غر هؤلاء دينهم وكذلك قالوا فى غزوة الخندق فى السنة الخامسة للهجرة .

وفى غزوة بنى الصطلق سنة ٦هــ حاولوا قطع العون المادى عن جيش الرسول ليلحقوا به الهزيمة

هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ

ويدعى المنافقون الى اداء الواجب ، وبذل النفس أو المال فيتخاذلو ن

« وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ »

ولم يعدموا سخيف الحيل ، مرة يقولون .

«لَا تَنفِرُواْ

فِي ٱلْحَرِّۗ »

اخرى يقولون

إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ

وثالثه يقولون

لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْۗ

ولا نهايــة لدلالات الجبناء . ولعل اسلوب المنافقين الأبدى لم يتغير الــتآمر ، هــؤلاء هم المنافقون يبنون مسجدا يضاربون به مسجد المؤمنين بقــباء ، ارادوا ظاهــرا للعبادة ومصالح المسلمين ورغبوا الى الرسول أن يصــلى بهــم فيــه ، وقصدوا به باطنا الى تفريق وحدة المؤمنين وجعلوه مخــزنا لســلاح يأتون به من قيصر الروم لحرب الإسلام . فلما أطلع الله ورســوله على خبيث ما أرادوا فى آيات نزلت عليه من سورة التوبة . أمر الرسول بمن انطلق الى هذا المسجد فهدمه وحرقه . وإذن فليس بمستغرب أن يشدد القرآن الحملة على المنافقين وان يدعوا المؤمنين الى سلوك الحزم معهم واستئصال شرهم

«يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْۚ

وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾

ويعجب المتتبع للآيات القرآنية التى عرضت للمنافقين كيف أن أمرهم هوهو فى كل زمان ومكان ولقد صورهم القرآن فأحسن تصويرهم باطنا وظاهرا .

فيقول سبحانه وتعالى :

« أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۚ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ ۚ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا »

وفى موطن آخر عن سلوك المنافقين : يقول تعالى

« يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوا

عن المظهر وقوله تعالى

« فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾

هذاالمظهر ، أما من ناحية الخير فقد كان المنافقون حريصون على كتمان امرهم آمنين فى سترتهم بالإيمان الكاذب ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُمْ جُنَّةً

يخشون أكثر ما يخشون أن يفتضح أمرهم

« يَحْذَرُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن

فى موضع آخر

« أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾

وهم فى هذا المسلك أخطر من العدو المعلن صراحة لعداته أما هؤلاء المنافقون فأعداء متنكرين فى زى اصدقاء تبدو عداوتهم حين تلم بالمسلمين الشدائد فتراهم ينفثون السموم ويتخاذلون ويتعللون . والملاحظ الهام هنا أن الحرب التى اعلنها القرآن على المنافقين وسلط عليهم فيها اضواءه كاشفا مظهرهم ومخبرهم النفس كل آياتها أى فى فترة الجهاد الإسلامى العملى من أجل نصر الدين الإسلامي وإقامة دولته .

ونستطيع أن نصنف حرب المنافقين للمسلمين نوعين ؛ حرب نفسية باردة وأخرى عملية ساخنة . ففى غزوة تبوك سنة ٩هـ

« يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾

وفى غزوة الخندق سنه ٥هـ

« إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾

وفى غزوة بنى المصطلق سنة ٦هـ

« هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾

وفى وقعة بدر

« إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾

إذا ما سئلوا يشيعون مقاله السوء فى المؤمنين قالوا

« وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾

موقف المنافقين من الكفار والمسلمين :

« بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾

وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾

ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾

۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾

لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمْ
وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَـٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ
رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾

الآيـــة الأخيرة معناها أن المنافقين أشد خوفا للمؤمنين من الله لتأخير عذابه

تعلل المنافقين وقت الحرب :

فى غزوة الخندق سنة ٥هـ

« وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ
وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ
بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا »

ووقـــت الحرب لايبخلون بمالهم على جيوش المسلمين . وفى غزوة تبوك سنة ٩هـ

« فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَـٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن
يُجَـٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ
فِى ٱلْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾

وفى وقعة أحد

« وَمَآ أَصَـٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ
﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَـٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ
ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُواْ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَـٰكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ

يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَـٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي »

التـــآمر :

بـــنى جماعة من المنافقين مسجد الضرار مضادة لأهل مسجد قباء وقد بنوه بأمـــر أبى عامر الراهب . ن عنده وكان ذهـــب ليأتى بجنود من قيصر لقتال النبى – صلى الله عليه وسلم – وايضا بهـــدف الـــتفريق بيـــن المؤمـــنين الذيـــن يصلون بقباء بصلاة بعضهم فى مسجدهم ، فلما فرغوا من مسجدهم أتوا النبى صلى الله عليه وسلم – وهو مـــتجهز الى تبوك فقالوا : يارسول الله إنا بنينا مسجدا لذى العلة والحاجة والليـــلة الشـــاتية والليلة المطيرة وإنا نحب أن تأتينا فتصلى لنا فيه ، فأنزل الله عـــلى رســـوله آيـــات من سورة التوبة ١٠٧/ ١٠٨ يأمره بألا يقيم فيه فأمر الرسول اطلق الىهذا المسجد فهدمه وحرقه .

تصوير القرآن لنفسياتهم :

«وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا »

(فى شأن غزوة الخندق سنة ٥هـــ : دخلت : أى المدينة)

(ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرماً ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم) .

وفى غزوة بنى المصطلق سنة ٦هـ :

« إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾

« وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾

وفى وقعة بدر:

«وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾

«وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾

فى شأن الأحزاب سنة ٥هـ :

« يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى

(يسألون ابنائكم = أخباركم مع الكفار) (يحسبون الحزاب لم يذهبوا الى مكة لخوفهم منهم) ماقاتلوا إلا قليلا رياء وخوف من التغيير .

موقف المؤمنين من المنافقين :

فى موقعة أحد :

۞ فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ »

حكم القرآن على المنافقين دنيا وآخرة :

دعوة بتشديد الحملة على المنافقين لاستئصال شرهم

«يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ ؛

وفى وقعة أحد:

« فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم »

« ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾

« يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَـٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾

في المنافقون في غزوة تبوك سنة ٩هـ :

« فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَـٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَآ أُنزِلَتْ

عاقبة النفاق في الآخرة :

«يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا
نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا
فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن
قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ
وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ
ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾
فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ
ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

فى فتح مكة بعد أن وعد الله المؤمنين بأحسن الجزاء قال سبحانه :

«وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ
ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ
عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾

آيات النفاق كلها واردة فى السور المدنية

آل عمران : آيات ١٦٧/ موقف المنافقين فى موقعة أحد (ارجع للجلالين) .

الحشر : ١١/ أسلم ناس من أهل قريظة ، وكان فيهم منافقون وكانوا يقولون لأهل النضير لئن اخرجتم لنخرجن معكم فنزلت هذه الآية فيهم .

التوبة : ٩٧،٧،١٠١، ٦٤، ٦٧، ٧٣ من قيام النزول غزوة تبوك (الآيات من ٦٤ : ٦٦) أن أناسا من المنافقين قالوا : يرجو هذا الرجل أن يفتح قصور الشام وحصونها ، هيهات فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك :

فأتاهم : فقال قلتم كذا وكذا ، قالوا إنما كنا نخوض ونلعب فنزلت (ارجع لأسباب النزول جـ ٣ ، ص ٩٧،٩٦) .

الأحزاب : ١٢،٧٣،٤٨،٢٤،١،٦٠ المنافقون والتهديد للرسول :

(ارجع لأسباب النزول جـ٣ ، ص ١٣٦)

الفتح : ٦ (نزلت سورة الفتح بين مكة والمدينة فى شأن الحديبية من أوها الى آخرها .

الحديد : ١٣/ عاقبة النفاق فى الآخرة .

الأنفال : ٤٩ / (يستضعف) (ارجع لسبب النزول ، جـ ٢ ، ص٨٩ ، ٩٠)

المـــنافقون :١،٧،٨ (معظمهما فى وصف حالهم (ارجع لسبب النزول ، جـ ٤ ، ص١٦٩ ،)

النساء : ٦١ ، ٨٨ ، ١٣٨،١٤٠ ، ١٤٥ (ارجـــع لسبب النزول ، جـ ٢ ، ص ٥٦،، ص٥٧ ، ص ٥٨) .

العنكــبوت : ١١/ (يقول السيوطى فى اسباب النزول إنه تقدم سبب نزولها فى سورة النساء .

التحريم : ٩/ دعوة بتشديد الحمة على المنافقين لإستئصال شرهم .

الجاحظ فى الحيوان ، جـــ ٥ ، ص٢٧٦ – ٢٨٠ .

اليــرابيع : ضرب من الفأر . قال : ويقال : نفق اليربوع ينفق تنفيقا اذا عمـــل النافقاء وهى إحدى مجاحرة ومحافره ، وهى النافقاء والقاصعاء والداماء والراهطاء ... فإذا طلبت من احدى هذه الحقائر نلفق ، أى فخرج مـــن النفقاء ، وان طلب من النافقاء قصع : ويقال : انفقته انفاقا : اذا صاح به حتى يخرج . ونفق هو :

وفى احـــتيال اليرابيع بالنافقاء والقاصعاء والداماء والراهطاء ، وفى جمعها الـــتراب عـــلى نفـــس باب الحجر . وفى تقدمها بالحيلة والحراسة ، وفى تغـــليظها لـــن أرادهـــا ، والـــتورية بشىء عن شىء ، وفى معرفتها بباب الخديعـــة . وكيـــف توهم عدوها خلاف ما هى عليه ، ثم فى وطيئها على زماعيـــتها ، فى اسهولة وفى الأرض اللينة كى لايعرف أثرها الذى يقتصه ، وفى اســـتعمالها واستعمال بعض ما يقاربها فى الحيلة التوبير – والتوبير الوطء على مآخير أكفها – العجب العجيب .

وإنمـــا ســمى الله عــز وجل الكافر فى باطنه ، المروى بالإيمان ، والمســتتر بخــلاف مايســر بالمنافق على النفقاء والقاصعاء ، وعلى تدبير اليربوع فى التورية بشىء عن شىء .

وهــذا الإســم لم يكن فى الجاهلية لمن عمل بهذا العمل ، ولكن الله عز وجل اشتق لهم هذا الإسم من هذا الأصل .

سورة التحريم آية ٩ (دعوة بتشديد الحملة على المنافقين لإستئصال شرهم)

أضواء :

« يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾

(جــاهد الطفــار) بالســيف (والمنافقين) باللسان والحجة (واغلظ عليهم) بالإنتهار والمقت .

من السيرة : إخراج المنافقين من المسجد :

وكــان هــؤلاء المــنافقون يحضــرون المســجد فيسمعون أحاديث المســلمين ويسخرون منهم . ويستهزئون بدينهم . فأجتمع يوما فى المسجد مــنهم نــاي ، فرآهم رسول الله يتحدثون بينهم خافضى اصواتهم قد لصق بعضــهم بــبعض ، فأمر بهم رسول الله فأخرجوا من المسجد اخراجا عنيفا .. فــفى هؤلاء من احبار يهود والمنافقين من الأوس والخزرج نزل صدره من سورة البقرة الى المائة منها ، فيما بلغنى ، والله أعلم ..

سورة النساء : آيتا ٦٠،٦١ ، أحد سنة ٣هـ

« أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾

أضواء :

نـزل لمـا اختصم يهودى " ومنافق ذرعا " الى كعب ابن الأشرف ليحكم بيـنهما ودعـا اليهـودى الى النبى – صلى الله عليه وسلم – فأتياه فقضى لليهودى فلم يرض المنافق ...الخ

(أن يـتحاكموا الى الطـاغوت) الكـثير الطغيان وهو كعب ابن الأشرف .

آيات من سورة النساء فى شأن المنافقين :

آيات ١٣٨-١٤٥ :

« بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾

إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾

إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾

أضواء :

(فـــإن كان لكم فتح) ظفر وغنيمة (ألم تكن معكم) فى الدين أو الجهاد فأعطونـــا نـــت الغنيمة (وإن كان للكافرين نصيل) من الظفر عليكم (ألم نستحوذ) نستول (عليكم) ونقدر على اخذكم وقتلكم . فأبقينا عليكم (و) ألم نمنعكم من المؤمنين) أن يظفروا بكم بتخذيلهم ومراسلتكم بأخبارهم فلنا عليكم المنة . (وهو خادعهم) مجازيهم على خداعهم فيفضحون فى الدنيا بـــإطلاع الله نبيه على ما أبطنوه ويعاقبون فى الآخرة (مذبذبين بين ذلك) مـــرددين بيـــن الكفـــر والإيمان (لاالى هؤلاء ولا الى هؤلاء) أى لاالى الكفار ولا الى المؤمنين . (الدرك) المكان .

الأحزاب آية (١) (التهديد)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

« يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ »

سبب النزول :

أخرج جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال : إن أهل مكة ، منهم الوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة ، دعوا النبى – صلى الله عليه وسلم – أن يرجع عن قوله على أن يعطوه شطر أموالهم ، وخوله المنافقون واليهود بالمدينة إن لم يلاجع قتلوه ، فأنزل الله (يأأيها الني اتق الله ولا تطع الكافرين و المنافقين إن الله كان عليماً حكيماً)

الأحزاب آيات ١٢-٢٠ (عام الأحزاب أو عن غزوة الخندق) فى سنة خمس من الهجرة (انظر سيرة النبى) .

" وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَـَٔاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ

ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ

ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ

أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى

يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ

وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ۞ قَدْ

يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ

وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ

فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ

كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم

بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟

فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَـٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾

يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ

أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟

فِيكُم مَّا قَـٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾

رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ

ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ

قَالُوا۟ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ

وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾

أضواء :

(فـأرجعوا) الى مـنازلكم مـن المدينة وكانوا خرجوا مع النبى – صـلى الله عليه وسلم – الى سلع جبل خارج المدينة للقتال . (يقولون ان بيوتن عورة) غير حصينة يخشى عليها . (ولو دخلت) أى المدينة .
(الـبأس) القـتال . (فـإذا ذهب الخوف) وحيزت الغنائم (اشحة على الخيـر) أى الغنيمة يطلبونها . (يحسبون الأحزاب) من الكفار لم يذهبوا) الى مكـة لخوفهم منهم (يسألون عن انبائكم) اخباركم مع الكفار (وما قاتلوا الا قليلا) رياء وخوفا من التعبير .

من السيرة :

(ولقـد كـانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسـئولاً) فهـم بـنو حارثة ، وهم الذين هموا أن يفشلوا يوم أحد مع بنى سلمة حين همتا يوم أحد ، ثم عاهدوا الله أن لايعودوا لمثلها ابداً فذكر لهم الله الذى أعطوا من أنفسهم .

التوبة : آيات ٦٤-٦٩ (غزوة تبوك فى رجب سنة تسع للهجرة) .

يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ

وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ

وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾

كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَـٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَـٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَـٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَـٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أ

أضواء :

مخرج ما تحذرون إخراجة من نفاقكم .

سألتم = عن استهزائهم بك والقرآن وهم سائرون معك الى تبوك

(ليتــلون) معتذرين (انما كنا نخوض ونلعب) فى الحديث لنقطع به الطريق ولم نقصد ذلك .

قد كفرتم بعد ايمانكم = أى ظهر كفركم بعد اظهار الإيمان .

(إن نعــف) عــن طائفة منكم بإخلاصها وتوبتها . (نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين) مصرين على النفاق والإستهزاء .

المــنافقون والمنافقات بعضهم من بعض = أى متشابهون فى الدين كأبعاض الشىء الواحد .

ويقبضــون أيديهم = عن النفاق فى الطاعة . بخلاقهم = نصيبهم فى الدنيــا (فأســتمتعتم) أيهــا المنافقون كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضــتم) = فى الباطل والطعن فى النبى – صلى الله عليه وسلم (كالذى خاضوا) أى كخوضهم .

موقف المنافقين من غزوة تبوك (التوبة آيات ٨١–٨٥).

« فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ

إِنَّكُمْ رَضِيتُم
بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ
أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ
وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾
وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا
فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾

أضواء :

(فرح المخلفون) من تبوك . (بمقعدهم) أى بمقعودهم (خلاف) أى بعد (قل نار جهنم أشد حراً) من تبوك . (فإن رجعك الله) ردك من تـبوك . (الى طائفة منهم) ممن تخلف بالمدينة من المنافقين (الخالفين) المتخـلفين عـن الغـزو من النساء والصبيان وغيرهم . (تزهق انفسهم) تخرج .

سبب النزول :

قيل : قال رجل من المنافقين : لاتنفروا فى الحر فنزلت .

آية التوبة : ١٠٧ ، ١٠٨ (التآمر)

« وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ
ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ
وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ

﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ﴾ ﴿١٠٧﴾

أضواء :

(والذين اتخذوا مسجدا) وهم اثنا عشر من المنافقين . (ضرارا) مضـارة لأهل مسجد قباء . (وكفروا) لأنهم بنوه بأمر أبى عامر الراهب ليكـون معقـلا له يقدم فيه من يأتى من عنده وكان ذهب ليأتى بجنود من قيصر لقتال النبى – صلى الله عليه وسلم – (وتفريقا بين المؤمنين) الذين يصـلون بقـباء بصـلاة بعضهم فى مسجدهم (وارصاداً) ترقبا . (لمن حارب الله ورسوله من قبل) أى قبل بنائه وهو ابو عامر المذكور

(وليحـلفن إن اردنـا إلا الحسنى) من الرفق بالمسكين فى المطر والحر والتوسعة على المسلمين .

وكـانوا سألوا النبى – صلى الله عليه وسلم – أن يصلى فيه فنزل (لاتقـم فيـه ابدا) فأرسل جماعة هدموه وحرقوه وجعلوا مكانه كناسة تلقى فيها الجيف .

سبب النزول :

* قيـل أتى مـن بنى مسجد الضرار رسول الله – صلى الله عليه وسـلم – وهـو متجهز الى تبوك فقالوا : يارسول الله إنا بنينا مسجداً لذى

العـلة والحاجة والليلة الشاتية والليلة المطيرة ، وإنا نحب أن تأتينا فتصلى لـنا فيه . فقال : إنى على جناح سفر ، ولو قدمنا انشاء الله اتيناكم فصلينا لكـم فيه . فلما رجع نزل بذى أمر أن على ساعة من المدينة فأنزل الله فى المسجد (والذين اتخذوا ... القصة) فدعا مالك بن الخدش ومعن بن عدى أو أخـاه عاصـم بـن عـدى ، فقال : انطلقا الى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وأحرقاه ففعلا .

*وقيـل أن اناسـا من الأنصار ابتنوا مسجدا ، فقال لهم أبو عامر : ابتـنوا مسـجدكم واستمدوا بما استطعتم من قوة وسلاح ، فإنى ذاهب الى قيصـر ملك الروم فآتى بجند من الروم فأخرج محمداً وأصحابه ، فلما فـرغوا مـن مسجدهم أتوا النبى صلى الله عليه وسلم – فقالوا : لقد فرغنا من بناء مسجدنا فنحب أن تصلى فيه ، فأنزل الله﴿لاتقم فيه ابداً﴾ .

آيات ١–٨ من سورة (المنافقون) فى غزوة بنى المصطلق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا
يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟
تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ
صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ
﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ
لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾
سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ
لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا
تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾
يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ
وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا
يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾

أضواء :

(قـــالوا) بألسنتهم على خلاف ما فى قلوبهم (اتخذوا ايمانهم جنة) ســترة على اموالهم ودمائهم . (كأنهم) من عظم أجسامهم فى ترك التفهم (خشــب مسندة) ممالة الى الجدار (ومصطفى . روعة هذا التشبيه فيما

يـبدوا لى إنهـم ضخام لجثث يملؤن البطون ولا عقول لهم وليس لهم من عمـل غير القعود والحديث الفارغ ، فهم فى مثل هذا الحال فى منتداهم أو مجلسـهم كـأنهم خشب مسندة) (يحسبون كل صيحة) كنداء فى العسكر وإنشـاد ضـالة (عليهم) لما فى قلوبهم من الرعب أن ينزل فيهم ما يبيح دمائهم (هم العدو فأحذرهم) فإنهم يفشون سرك للكفار (هم الذين يقولون) لأصـحابهم مـن الأنصـار . (ولاتنفقوا على من عند رسول الله) من المهاجـرين (حـتى ينفضوا) يتفرقوا عنه . (لئن رجعنا) أى من غزوة بـنى المصطلق (ليخرجن الأعز) عنوا به انفسهم (منها الأذل) عنوا به المؤمنين .

سورة الحديد آية ١٣-١٥ (عاقبة النفاق فى الآخرة)

« يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

أضواء :

(انظرونا) أبصرونا (قيل) لهم استهزاء بهم (له باب باطنه فيه الرحمة) من جهة المؤمنين (وظاهره) من جهة المنافقين .

سورة الأنفال آيات ٤٠-٤٩ (فى وقعة بدر)

« وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾ ۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾

إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَـٰدِ ۙ وَلَـٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَـٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾

وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾

وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾

وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾

أضواء :

(ولا تكونـوا كـالذين خـرجوا مـن ديارهم) ليمنعوا غيرهم ولم يـرجعوا بعـد نجاتهـا . (بطـرا ورئاء الناس) حيث قالوا لانرجع حتى نشـرب الخمـور وننحر الجزور وتضرب علينا القيان ببدر فيتسامع بذلك

الـناس (إعمـالهم) بأن شجعهم على لقاء المسلمين لما خافوا الخروج من اعدائهـم بنى بكر (وقال لاغالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم) من كنانة وكان أتاهم فى صورة سراقة بن مالك سيد تلك الناحية (فلما تراءت) الـتقت (الفئـتان) المسـلمة والكافـرة ورأى الملائكة وكان يده فى يد الحـارث بـن هشـام (نكص) رجع (على عقبيه) هارباً : (إنى أرى مالاتـرون) من الملائكة . (غر هؤلاء دينهم) أى عز المسلمين دينهم اذ خرجوا مع قلتهم ياقاتلون الجمع الكثير توهما أنهم ينصرون بسببه .

الخلاصة :

١. الحرب النفسية التى شنها المنافقون والرسول يجاهد .
٢. مسـجد الضـرار والحـرب الساخنة (أرادوا ليبارك الرسول لهم المسجد فيسممون فكر من يلجأ اليهم) .
٣. البيـئة الملائمـة لأروع سـمومهم هى أوقات الشدة يتخاذلون فيها ويتعللون ...
٤. آيات العفاف كلها واردة فى السور المدينة .
٥. القـرآن كـتاب الإسلام الأولى نفرغ اليه كلما اشتد بالمسلمين كرب نستلهمه العظة ونأخذ عنه الدرس الإلهى .

الميثاق فى القرآن

البقرة ٨٣-٨٥ :

« وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ
وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ
وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ
تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا
مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن
دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ
ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم
مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ
أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ
بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن
يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾

النساء : ١٥٣-١٦١ :

« يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَـٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَـٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾

وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾

فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾

المائدة :١٢-١٣ :

۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾

فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ ،

الهجرة فى القرآن

الأنفال آيات ٧٢-٧٥ :

" إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾

أضواء :

(مـن هاجـروا أوطـانهم حـبا لله ولرسـوله / الأنصار : أووا المهاجـرين ونصـروهم على اعدائهم / أولئك بعضهم اولياء على بعض : فى الميـراث ، وكـان المهاجرون والأنصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الأقـارب حتى نسخ بقوله : واولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض : أو بالنصـرة والمظاهـرة / وإن استنصـروكم فى الدين : فواجب عليكم أن تنصـروهم عـلى المشـركين / تكـن فتنة فى الأرض : تحصل فتنة فيها عظيمـة وهى ضعف الإيمان وظهور الكفر وفساد كبير فى الدين / والذين آمـنوا وهاجروا وجاهدوا ... لما قسم المؤمنين ثلاثة أقسام بين أن الكاملين فى الإيمـان مـنهم هـم الذين حققوا ايمانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة والجهـاد وبـذل المـال ونصرة احق ووعد لهم الموعد الكريم فقال : لهم مغفـرة ورزق كـريم . ثـم ألحق بهم فى الأمرين من سيلحق بهم ويتسم بسـمتهم فقال : والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم أى مـن جملتكم أيها المهاجرون والأنصار / وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض : فى التوارث من الأجانب . فى كتاب الله : فى حكمه أو فى اللوح أو فى القـرآن ، واستدل به على توريث ذوى الأرحام . إن الله بكل شىء عـليم : من المواريث والحكمة فى إطانتها بنسبة الإسلام المصاهرة أولا ، واعتبار القرابة ثانيا .

تهديد الأنبياء

لوط وأنصاره :

« قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١١٧﴾

تهديد الرسل عامة :

«وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ

فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾

تهديد الله بأن من أخرجوك ليسوا اشد العاتين عمن سلفوا :

محمد (مدنية إلا هذه الآية رقم ١٣ فنزلت فى الطريق اثناء الهجرة) :

« وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ

أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أ

* أعـداء المسـلمين هـم مـن أخرجوا من أوطانهم ولو كانوا ذوى قرباهم/لا موالاة لمن أخرجوا المسلمين من ديارهم.

- تحرير المستضعفين وإخراجهم من دار للظلم.
- فى سـبيل أقـدس غاية حلل القتال فى الشهر الحرام لحرمة الوطن على المسلمين .
- أول آية داعية للقتال دفاعاً عن الدين.
- تهديد الله بأن من أخرجوك ليسوا أشد العاتين.
- قصة الهجرة(الأنفال آية ٣٠/التوبة آية ٤٠).

حق المسلمين على من أخرجوهم:

« أَلَا تُقَـٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَـٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾

ألا تقاتـــلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدء وكم أول مرة أتخشون فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين) **التوبه آية١٣**

(حين تشاورا فى أمره بدار الندوة على مامر ذكره قوله : (وإذا يمكر بك الذيـــن بك كفروا) وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول وهموا بإخراجه من المدينة .

تهديـــــــــــــــد المـــــــــــــــنافقين للرســـــــــــــــــول :

« يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾

(وروى اعـــرابيا نـــازع أنصـــاريا فى بعض الغزوات على ماء فضرب الأعـــرابى رأسه بخشبة فشكا الى أبى فقال : لاتنفقوا على من عند رسول الله حـــتى ينفضوا واذا رجعنا الى المدينة فليخرج الأعز الأذل عنى بالأعز نفسه وبالأذل رسول الله عليه السلام) .

المسلمون وحرمة الوطن :

« وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَـٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَـٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾

(حيـث ثقفتموهم : حيث وجدتموهم فى حل أو حرم وأصل الثقف الحذق فى إدراك الشـىء علما كـان أو عمـلا فهو يتضمن معنى الغلبة ولذلك اسـتعمل فيهـا / وأخرجوهم من حيث أخرجوكم : أى من مكة ، وقد فعل ذلـك بمن لم يسلم يوم الفتح / والفتنة أشد من القتل : أى المحنة التى يفتن بهـا الإنسان كالإخراج من الوطن أصعب من القتل لدوام تعبها وتألم النفس بها)

هدف المسلمين الخروج من دار الظلم : (النساء مدنية . آية ٧٥) .

« وَمَا لَكُمْ لَا تُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾

من أهداف الكفار إخراج المؤمنين : سورة الحشر (مدنية آية ٩)

« وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾

(المراد بهم الأنصار فإنهم لزموا المدينة والإيمان وتمكنوا فيهما ، وقيل المعنى تبؤوا دار الهجرة ، ودار الإيمان . وقيل سمى المدينة بالإيمان لأنها مظهرة ومصيره .

الطرد فى حرب اليهود بعضهم بعضا : . البقرة : آية ٨٥ (مدنية)

« ثُمَّ أَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَـٰرِهِمْ تَظَـٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَـٰرَىٰ تُفَـٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾

حق الوطن على الإنسان (وهنا صورة لطبيعة بنى اسرائيل) : (البقرة : آية ٢٦٤)

« يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ

كَالَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ»

تهديــد سـليمان لة

"ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ»

انتصار المؤمنين بإخراج اليهود : الحشر : آيه ٢ مدنية .

«هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾

(وروى أنــه – عــليه الصلاة والسلام – لما قدم المينة صالح بن النضــير عــلى أن لايكونــوا له ولاعليه فلما ظهر يوم بدر قالوا أنه النبى المــبعوث فى التوراة بالنصرة ، فلما هزم المسلمون يوم أحد ارتابوا ونكثوا

وخـــرج كعب بن الأشرف فى أربعين راكبا الى مكة وحالفا أبا سفيان فأمر رســـول الله – صـلى الله عـــليه وســـلم – محمد بن مسلمة أخا كعب من الرضـــاعة فقـــتله غيلة ثم صحبهم بالكتائب وحاصرهم حتى صالحوه على الجـــلاء فجـــلا أكثرهم إلى الشام ولحقت طائفة بخيبر والحيرة فأنزل الله (سبح الله) إلى قوله (والله على كل شىء قدير) آية ٧ .

عناصر الطبيعة فى القرآن

الحيوان :

البعير / الخيل / الحمار / الدابة / الأنعام / النعجة / العجل / الكلب / الخرطوم / كشطك / الأبر / وردا / نيعق .

الطير :

الطير / الجناح / بيض مكنون .

الحشرات :

النملة / الذبا ب / البعوض / الفراش / العنكبوت / الجرد .

النبات :

أنـــبت / الجنة / الشجر / النخل / الحبة / الزرع / النجم / زهرة / شوكة / حبة خرذل / الهشيم / عصف .

الأحجار الكريمة والمعادن :

لؤلؤ/ المرجان والياقوت / مهان / المهل .

السماء والنجوم :

السماء / الشمس والقمر / النجوم .

تقسيمات الزمن :

ساعة / اليوم / الشهر / السنة .

ظاهرات وعناصر الطبيعة :

الـريح / السحاب / الغيث / الصيب / الرعد / الصاعقة / ضياء / الظـلمات / الـليل / النهار / الصبح / الضحى / السراب / الظل / النار / الرمال / الماء / الغمرة / ماج / الزبد / غثاء .

الألوان :

الأسود / الأبيض / الأزرق .

المناظر الطبيعية ، الصور الطبيعية :

الأرض / واد / جـبل / نجـد / العقبة / الجرف / حفر / كثيب / الهباء / الحجر / الصفوان / البحر / البرزخ .

١- آية كونية

أيتها القلوب المشرقة المستضيئة بالإيمان

مع الفلك الدوار تؤذن الشمس كل صباح بمولد يوم جديد يحمل معه مـن دفئه حرارة الحب الإنساني ، يسم الكائنات في أصباحها بما غنيت به من إشراق وتألق .

وإذا كـــانت الشمس آية الجمال فى عالم الحس ، فما أروعها من آية كونيـــة فى عـــالم المعنى فى القرآن .. حدث القرآن عنها حديث الجمال ، فهى سراج السماوات السبع

«أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾

وإذا كانت الشمس مصباح النهار فالقمريقبض منها نوره ليضىء الليل

«وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾ ،

وهـــذه الصـــلة الأسرية بين الشمس والقمر ودور كل فى الإشراق ليلا أو نهاراً لايعدمها من يتصفح القرآن :

« هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا »

وعلى سنن كونى دقيق يجرى الله دورة الشمس والقمر ودورة الليل والنهار :

«أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى »

وفى صـــفح الله الحكيـــم لاترى من خلل أو نقصان يدخل ناموسه الطبيعى :

« وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾

وتشـــاء حكمـــة الله حين يجرى الشمس على قانون دقيق أن يحدث الـــليل والـــنهار ، فيصـــدق كلمـــته الحق فى أن مافى الكون مسخر لخير الإنســـان ونفعه ، فبـ ـرة الشمس والقمر نوقت ونؤرخ ، وفى النهار سعينا لمعايشـــتنا وفى اليـــل نسكن فنجدد قوانا لسعى جديد بتلك المعانى وغيرها حدث القرآن بأروع ..ان :

« هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ »

وفى مجال الميقات للعبادة فللشمس دور . بمشرقها وظلها ومغربها

« أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا

يخاطب الله نبيه محمد آماد التسبيح

« فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآىِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾

ويتجه الله بخطابه لنبيه ليعم الخطاب المسلمين جميعا

« أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ »

ولعـل البشـرية فى مهد طفولتها العقيدية قد لفتتها روعة هذه الآية الكونيـة " الشـمس " فألههـا قوم وعبدوها ، وجاء يخبر بعض من هؤلاء هدهد سليمان

« إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾

وقد لفت نبى الله ابراهيم الخليل قومه إلى ما فى هذه الآية الكونية عـلى روعـتها وجلالها – من نقصان فهى تمثل آنا وتغيب آنا ولايجرى على الإله الخالق غياب فى أى آن

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَـٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَـٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾

فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ

ويفحــم ابــراهيم بالمــنطق المدافع ذلك المدعى اللوهية وقد أطفاه الملك بأن يغير دورة الشمس

«أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾

وأكــد القــرآن فى أكثر من موضع أن الشمس خلق من خلق الله ، وتشــكيل من صنع القدرة ، ولاتكاد الشمس أو غيرها من آيات الكون تذكر فى القرآن إلا مسبوقة بتسخير الله لها وخضوعها لقدرته

« أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ »

ولهذا يتجه الأمر الإلهى بأن لانسجد للمخلوق ولكن للخالق

«وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾»

وتزول معالم هذه الآية الكونية الرائعة يوم البعث

«يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾»

«إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾»

ذلك لأنها مسيرة ، لاتملك من أمرها شيئا .

وفى اقصص القرآنى للشمس دور ، فهى مع ذى القرنين مراح سياحته ومعلم لقصده

«وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾

« حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾

ولها من أصحاب الكهف تصرف – من أمرا لله

۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾

ورمزا الشمس والقمر فى يوسف النبى يشير إلى الأبوين

« إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾

الخاتمة

التفســـير اليـــوم بين السكون والحركة ، أو التفسير التراكمى ساكن، والحركة فى التفسير الأدبى وإذا كانت التفاسير عموما تهدف الى الفهم فإن هـــذا التفســـير يقوم على دعامتى الفهم والذوق ، وبالفهم نرتقى الى الذوق الأدبى للنص القرآنى :

ويدور التفسير الأدبى على محاور :

١) دلالـــة اللفظة فى سياق آي القرآن التى قد تتخالف دلالتها فى سياق آيات أخرى .

٢) يتـــناول موضـــوعا واحـــداً فى القـــرآن كله ونعنى بالدرجة الأولى بالتحليل البلاغى والأسلوب للأية .

٣) ولقـــد يعـــنى التفسير الموضوعى وهو مناط للتفسير الأدبى بالوحدة الموضـــوعية على مستوى السورة الواحدة ويتسع ليشمل القرآن كله وبلغة العصر هو دراسة أسلوبية للنص القرآنى .

يخـــلط بعـــض الباحثين بين مفهومى الأدب والبلاغة فيرون أنها بمعنى واحد والخطأ المنهجى هنا أن التفسير الأدبى يرى القرآن نصاً أدبيا معجزاً تتطلب دراسته – كما قال شيخ الأمناء – أولا دراسات حول النص القرآنى وثانيا دراسات فيه .

ولقد أشار بن النقيب – من رجال القرن السادس الهجرى – أن فى القرآن فنونا من الأدب فيها الوصف والغزل والفخر والمديح والهجاء والرثاء ، ورأينا أن فيه أنواعا أدبية من القصة والخطبة والوصية والرسالة والتشريع والرغيب والترهيب إلى جانب الشعرية فى الأسلوب وموسيقى اللفظ وتناغم الصوت .

ومن ثم يستدعى المنهج الأدبى فى التفسير موضوعات مثل : الحوار فى القرآن – وصف مشاهد القيامة فى القرآن – عناصر الطبيعة ومفرداتها فى القرآن – الإنسان والشيطان فى القرآن .... إلخ .

أما فى الجانب البلاغى فأنت تجد كتب البلاغة العربية . من مثل : الجمان فى تشبيهات القرآن لأبن ناقيا ، وتأويل مشكل القرآن لأبن قتيبة ، وإعجاز القرآن للباقلانى ، ودلائل الإعجاز لعبد القاهر ، وتفسير الكشاف للزمخشرى .

ومن هنا فالتفسير الأدبى شيء آخر غير التطبيق البلاغى ، ولابد أن ننبه فى إشكال إن واحدة من أبرز من خرجتهم مدرسة الأمناء وهى بنت الشاطىء التى شرحت فى وضوح وطبقت فى براعة منهج التفسير الأدبى للقرآن كما أصله الشيخ أمين الخولى ، وضعت أجزائها فى تفسير قصار السور بعنوان " التفسير البيانى للقرآن الكريم " كما جعلت عنوان بحث آخر لها (الإعجاز البيانى للقرآن الكريم) ترى هل قصدت التفسير

العـــبارى الـــلغوى بإزاء التفسير الإشارى الصوفى ؟ لاأعتقد ذلك – وهى باسـتخدامها أيضـــاً لفظة البيانى البلاغى لأن البلاغى أصغر حجما من " الأدبى "

وأغـــلب الظـــن أنهـــا أرادات فحسب مغايرة تسمية أستاذها الشيخ أمين الخـــولى فأســـتبدلت بالأدبى بالبلاغى وهى تسمية محيرة ولابد من المضى مـــع اصطلاح " منهج الشيخ أمين الخولى " مؤصلاً فنجعل العنوان " منهج التفســـير الأدبى لـــلقرآن " على أنه ينبغى تبين الفرق بين المعالجة البلاغية والأدبيـــة للـــنص القـــرآنى ، فالبلاغة مقاييس ومعايير حسن تطبيقه على القـــرآن تطـــبيقاً جـــزئياً وهى مستنبطة أساساً من الشعر ومن كلام العرب والأولى أن تســـتنبط مـــن القرآن ليكون القرآن حاكماً على البلاغة ، وليس الشعر أو كلام العرب هما الحاكمان .

وأشارت الى هذه القضية د. بنت الشاطىء فى بحثها الإعجاز البيانى . أمـــا المعالجـــة الأدبية للقرآن وتشمل النوع الأدبى من ناحية وفنون الأدب مـــن ناحيـــة ثانيـــة ، وهذه المعالجة تكون كلية لاجزئية وتسبح فى أعماق الـــنوع الأدبى وتغـــوص فى ســـمات فنون الأدب . ويكون الهدف هنا هو الإستكشـــاف وبيان الخصاص والقيمة لجواهر النصوص القرآنية لا الحكم عليها لأن صاحبها هو الخالق لنا ولها .

إذن نحـــن نصف ونتأمل أما فى ابداع النثر الأدبى فنتأمل ونصف ولنا أن نحكم بالجمال أو بالقبح معللين لإحكامنا هذه .

ويفرض منهج التفسير الأدبى محاور هى :

١- الوحـــدة الموضوعية فى الموضوع الواحد على مدى القرآن كله أو الوحدة الموضوعية فى السورة مع تعدد مضامينها .
٢- ربط هذه السورة بنظيراتها سواء فى العهد المكي أو المدنى .
٣- اللغة .
٤- الأسلوب .
٥- الموسيقى .
٦- مدى تناسب بين كل تلك المحاور .

هـــدف الســـورة فى مراحـــلها الزمـــنية التاريخية ومدى الموائمة لقضايانا المعاصرة .

الهدف :

إن هـــدف هـــذا المـــنهج كما أرساه الشيخان محمد عبده وأمين الخولى ومطبقوه من تلاميذتهم هو :

١- الإصلاح الإجتماعى ، وتطوير المدارك ، ورقى العلم .

٢-تهذيـــب الخلق ورياضة النفوس رياضة روحية تصل بها الى درجة الشفافية .

٣-تـــربية الـــتذوق الجمـــالى والحس الفنى بممارسة الأسلوب القرآنى والألفة بأنغامه

٤-أ ن تتحد به ذوقاً ومعرفة وسلوكاص أمة المسلمين الناطقة بالعربية

لماذا هذا المنهج ؟

إن القـــرآن معجـــزة أدبية وبواسطة الأدب يمكن أن نكتشف بعض أســـراره منهجاً أو ذوقاً وتظل هذه المحاولة هدف كل زمان ومكان الى أن يزول الزمان والمكان .

ولابـــد مـــن ايضاح مفهوم مبدئى بتعريفات الأدب متعددة من حيث المـــنظور بإعتبار الضياغة (.هو فن لغوى) وباعتبار مضمونه أو مكوناته المعـــرفية فهو (الأخذ من كل ثقافة بطرف) قال بهذا الجاحظ فى منتصف القرن الثالث الهجرى ويقول به الأوربيون اليوم .

الفهـرس

